

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأنظار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ١٢٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

الغزة الخضراء - القاهرة

ت رقم ١٢٣٩٠ ، ٥٢٤٠٠

العدد ١٩٨ ، القاهرة في يوم الاثنين ٨ صفر سنة ١٣٥٦ - ١٩ أبريل سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

مول مؤتمرا الاستبانات

منطق الواقع

مصر الآن أمام اثنتي عشرة دولة في (موتترو)؛ تزييف
الادعاء بالقانون، وتكفكف الغلواء بالحزم، وتكشف
المغالطة بالحجة، وتقول للذين ظلموها وظلموا العدل: هأنذا
أمامكم وجهاً لوجه، وعقلاً لعقل، ولساناً للسان؛ أخاطبكم
بلغاتكم كالتى منكم، وأجاد لكم بعلومكم كالتى فيكم؛ فهل
تجدوننى أقل منكم فقها لفلسفة التشريع، وعلمياً بمدنية العدل،
وفهما لسياسة الحكم؟ هاهم أولاء بعض أبنائى أوفنتهم اليكم
يحملون كلبى ويمثلون ارادنى؛ فهل رأيتم أروع خطاباً من
النحاس، وأبرع برهاناً من مكرم، وأقطع بياناً من ماهر؟
أليسوا هم حجتي العليا على أنكم تدافعون عن نظام لا يجد
مساغاً من طبيعة الناس، ولا مساكاً من منطق الأشياء؟
لماذا نخشون أن يكون أمثال هؤلاء قضاة في ديارهم بين
مجرميك، وهم يحرون مع أخياركم في عنان، ولا يتخلفون عن
أقطابكم في ميدان؟
لماذا تأبون أن يتساوى الوطنى والأجنى في الحق والواجب،
وأتم ترون هذا النهر المبارك يضئ عليكم النعمة، ويميزكم
على أبنائه في القسمة؟

ذلك ما نقوله مصر لخصومها (الممتازين) الذين احتشدوا

فهرس العدد

صفحة	
٦٤٩	منطق الواقع : أحمد حسن الزيات
٦٤٣	على بك فوزى : الأستاذ أحمد أمين
٦٤٦	السنور المندى الجديد . . : لمؤرخ كبير
٦٤٩	النفس وغلوطها عند ابن سينا : الدكتور إبراهيم يوسى مذكور
٦٥١	القصص في الأدب العربى : الأستاذ غزوى أبو السعود والانجليزى
٦٥٥	نقل الأدب : الأستاذ محمد إسحاق النشاشيبي
٦٥٧	الفلسفة الشرقية : الدكتور محمد غلاب
٦٦٠	مئات الشيطان : الأستاذ عبد الفتاح على حسين
٦٦٢	ساعة في : الأناض على الطنطاوى
٦٦٧	أسبوع الجاحظ : لتدوب الرسالة
٦٧٠	الماطفة (قصيدة) : الأستاذ أحمد الزين
٦٧١	يوم طابى في الربيع النائم : الأستاذ محمود غنى
٦٧٢	هكذا قال زرادشت . . . : الفيلسوف الألمان فردريك نيتشة
٦٧٤	حديث الأزهار للافونس كار : ف . ف
٦٧٥	الأزهر والجامعة المصرية في عيد جامعة أثينا - ذكرى مكتشف البهارسيا - جوائز مدينة باريس الأدبية .
٦٧٦	كتاب عن الرحلات القطبية - قصة أدبية غريبة .
٦٧٧	إسماعيل المفتى عليه . . . : الأستاذ القنبى
٦٧٩	المطالعة التاريخية للندارس : الأستاذ أحمد الشايب الابتدائية (كتاب) . . .

في موترو وفاوضونها في تنظيم العدوان، وبعارضونها في محور الالهانة. وهذا القول لا عيب فيه إلا اعتماده على الحق الذي زهق في دول أوروبا، واستناده إلى المنطق الذي اختفى في كتب الفلاسفة. فلو أنه قيل على أسلوب الزمن الحاضر، وجرى على منهاج المنطق الحديث، لما قابله المكابرون إلا بالتصفيق. والمنطق الحديث منطق الفعل لا منطق القول. وإذا كان مدار المنطق الكلامي على القياس، فإن مدار المنطق العملي على الواقع؛ والواقع في قانون الطبيعة له سلطان الأمر الموجود وقوة الشيء المحكوم به؛ والمفاوضة فيه تختلف عن المفاوضة في النية المكتوبة والفكرة المقترحة.

كان بيننا وبين جيراننا في المزرعة حد جرى عليه الخلاف فلم يتم، فاختلف الحق بالحق ودخل من ملكنا في ملك الجار مقدار كبير. وفي الأسبوع الماضي نذبت الحكومة مهندسا يبين الحق المشتبه، ويعين الحد المجهول، فسح الأرض، ورد المأخوذ، ودق الحديد وحرر المحضر، وأمضاه الجيران وفيهم العمدة. وكان الحديدين مزرعتين، ولكن الخلاف بين قريتين، فاتفقنا نحن وهم على أن نقيم الحد في اليوم التالي ونجعله مصفى ومروى بينهما طريق. ولكننا علمنا في الليل أنهم طعموا فيما تحت أيديهم فلا يودون أن ينزلوا عنه. وتعليل هذا التحول يسير على من عرف غرائز الناس وخبر طبائع الريف. وفي الصباح الباكر كانت القرية فريقين: فريق الفأس والعمل وقد ذهب إلى المزرعة، وفريق المنطق والكلام وقد ذهب إلى القرية العنيدة. وانعقد مجلس القريتين في دار العمدة؛ ثم انطلقت الألسنة البليغة تتجاوب بالعواطف الشاعرة تجارب البلابل في أعشاش الربيع. وكانت قوافي الأغاريد ترن موسيقاها بألفاظ الصداقة والود والمصاهرة والمجاورة والقانون والحق، فتظرب الآذان، وتهتز القلوب، وتشرق الأوجه.

فلما اتينا إلى أن هناك حدا يجب أن يقام، وحقا يجب أن يُعطى، تكسر الوجه الضاحك، وتسكر الصوت الرخيم، وانتفخت لغايد الشر، قهقور بالكلام وتهدد بالمعارضة؛ وكان فيهم رجل رشيد، فكان يملأ الدلو من حين إلى حين ويُسفرغه على القوم فتقر الفورة ويهدأ الحديث. وفي فترة من تلك الفترات الساكنة، اقترح أن نجعل لجيراننا الطامعين أجلا متى حل وجب عليهم أن يردوا الحق من غير اعتراض

ولامطل. وارتاح القوم لهذا الحل لأنه يترك لهم العين ويأخذ منهم الأثر، ورضينا به نحن لأنه يحسم النزاع بين القريتين، ويذهب عن النفس المسالمة شعور الهزيمة. وكان الخلاف أشد ما كان على مدة الأجل فبدأت بشهر واثمت بخمسة. وكان الذين وضعوا أيديهم على الحق بالباطل أبسط لسانا في الرفض، وأصلب عوداً في القبول؛ أما نحن والقانون والحكومة فكان (ارتكازنا) على خلاف.

كتبنا الاتفاق وأمضوه بعد وقفات طويلة على كل نص من نصوصه؛ ثم أخذنا نستعد لنشيد الختام في تمجيد الوتام والسلام، لولا رسول أقبل من الغيط يعلن أن رجال الفأس والكريك لم ينتظروا نتيجة المؤتمر، فحفروا المصنى، وشقوا المروى، وأقلعوا الطريق، وحرثوا الأرض، وأنجزوا في ساعتين، ما لا ينجز في يومين.

كان هذا الخبر أضخم الدلاء التي صبت على المؤتمر، فشدنا نحن، وخجلوا هم، وتذكر الجيران الأعزة حينئذ عواطف المصاهرة والمجاورة فقالوا: هذا هو الحق! ذلك ملككم وما ينبغي لأحد أن ينازعكم فيه!!

كان في قدرة مصر أن تتخذ سياسة الأمر الواقع، فتلقى بإرادتها المطلقة هذه المعركة التي ورثتها عن الترك كما يورث الزهرى الأفريقي عن الأب المريض. ولو أنها آثرت هذه الخطة لوجدت حجتها في القانون لا في القوة، ولكن مصر الكريمة المضايقة لانزوال تجرى على أعراق أباها الميامين فلا ترفع اليد ما دام يغنيها اللسان

على أن قوة الحق المصري، وقدرة المفاوض المصري، جعلنا القانون لا عزل أرفع صوتا من المدافع، وأبعد نفوذا من القنابل. وأعجب العجب أن الأمم اللاتينية التي سايرت نهضتنا وعاشرت أمتنا قرناً وثلاث قرن، كانت هي وحدها التي تجهل أن مصر دولة من دول البحر الأبيض لا أمة من أمم أفريقيا، وأن لها ديناً سماوياً يهدي إلى الحق، وتشريعاً مدنياً يرمى إلى الخير، وخلقاً شرقياً يدعو إلى المحبة، وأن رعاياها كانوا قبل الامتيازات وبعدها يتقبلون في خيرات النيل، ولا وزر لهم إلا أخلاق هذا الشعب النبيل

محمد حسن الزماحي

على بك فوزى

للأستاذ أحمد أمين

لم يتجل لى وفاء المصرى وإخلاصه كما رأيته أول أمس فى جنازة أستاذى وصديقى على بك فوزى . فقد استقبل النعش فى محطة مصر عدد كبير من أصدقائه وساروا فى مشهده يعزى بعضهم بعضاً إذ أبى الفقيده أن يكون له ولد ولا مال ولا جاه ؛ فكان أول مشهد عظيم رأيته لله وحده . وكان أنبل ما رأيته منظر احمد باشا شفيق وقد تقدمت به السن وصعب عليه السير يتحامل على صديق ، ويسير من المحطة إلى جامع الكخيا ، ثم أسلم عليه وأسأله هل تعرف الفقيده فيقول : لا لم أره فى حياته ؛ ولكنى سمعت نبيل أخلاقه فرأيت وفاء للفضيلة أن أسير فى جنازته .

رحمة الله عليه ، فقد كان أمة وحده ، ولم أر له نظيراً فى كل من عاشرت . ولئن كان أكثر الناس نسخاً متشابهة من كتاب تافه مطبوع ، فقد كان نسخة خطية من كتاب قيم نادر . متمدن على آخر طراز من طراز المدنية فى ملبسه وأناقته وآدابه ولباقته ، متصوف إلى آخر حدود التصوف فى زهادته واحتقاره للبال والجاه والمناصب ، وفوق ذلك كله فى روحانيته السامية . لم يفخر فى حياته بنسب ؛ على أنه كان جديراً أن يفخر به لو وجد الفخار مدخلاً إلى نفسه ، فقد كان جد أبيه المملوك الشارد الذى قفز بفرسه من القلعة ؛ وناهيك بعظمة الممالك أيام سطوتهم .

ولم يفخر بعلمه وهو الواسع العلم العميق التفكير ؛ يجيد العربية إجادة قل أن يكون له فيها نظير ؛ ويتكلم الإنجليزية كأحد أبناءها ؛ ويحذق الفرنسية والألمانية والتركية . ثم لا ينظر إلى اللغات على أنها مقاصد بل على أنها وسائل للثقافة ، فاتخذ هذه اللغات كلها أداة يتعرف بها الثقافات المختلفة ويقف على أحسن ما ألف فيها ؛ هذا إلى صحة فى النقد وقوة فى الملاحظة وشخصية بارزة لا تخضع لأى مؤلف مهما عظم . ومع هذا كله تجلس إليه إن لم تكن تعرفه فكأنه أسمى غنى جاهل بكل

شئ ، فهو ذهب خالص غطى بقشرة من طين لا تعرفه حتى تحكه وتحكه وتصل إلى باطن نفسه ؛ ولا يكون ذلك إلا لتلاميذه وخلصائه ، وحتى مع هؤلاء يقدم اليك نتيجة معارفه الواسعة وتفكيره العميق وهو محتف وراء ذلك يحاول ألا يشرك بنفسه ، وإنما يشرك بالفكرة نفسها ، فكأن كلمة : أنا ، لم تكن فى معجمه .

عرفته أول أمره أستاذاً فى مدرسة القضاء يدرس لنا التاريخ الإسلامى ؛ وتطالير إلينا قبل قدومه أخبار منشورة عن تاريخ حياته . إنه تخرج فى مدرسة المعلمين ، ثم سافر فى بعثة إلى إنجلترا ، ثم عاد منها بعد أن نال إجازة من جامعها ، وهى أوصاف لم تتحمس لها كثيراً ، فكنا قد شاهدنا بعض من سافروا إلى أوربا ورجعوا بشهاداتهم الضخمة وألقابهم العديدة وكانوا كالبندقة الفارغة : منظر ولاخبر ، ورواء فى العين ، ولاشئ فى اليدين ؛ فقلنا لعله أحد أولئك الذين لم يكسبوا من أوربا إلا اعوجاجاً فى اللسان ورطانة فى الألفاظ وإنكاراً لعظمة أى شئ مصرى ، وعصية لكل تافه أجنبي .

رحبنا أنفاسنا عند قدومه نستطلع طلعتة دخل علينا رجل قصير القامة . يحاول أن يخفى قصره بطول طربوشه وارتفاع حذائه ، أسمر اللون فى وسامة ، واسع العينين فى خجل ، كبير الرأس فى عظمة . يتأبط كتباً كثيرة العدد لا يتناسب حجمها مع حجمه بين عربية وإنجليزية ، ويأبى أن يحملها الفراش عنه كما اعتدنا أن نرى من غيره .

وأكبر ما راعنا منه أنه بدأ درسه بعبارة عربية فصيحة التزمها فى كل درسه ، وفى كل دروسه بعد ، وفى كل أحاديثه معنا فى الدرس ، لا أعرفه شذ عنها مرة واحدة ، فى طلاقة وعذوبة واستشهاد بالأدب العربى والشعر العربى ، مما لم أعرفه لآزهرى ولا لمدرس من دار العنوم . يجيد فهم عبارة الطبرى على صعوبتها ، وابن خلدون على عمقها ، والكتب الإنجليزية العميقة ، ويوضح ذلك كله بصياغة شبيهة لذينة ، ويطبعها كلها بالطابع العربى فلا تسمع لفظة إنجليزية ، ولا تستعصى عليه عبارة يريد أن يترجمها من لغة أجنبية

وما زادنا إعظاماً له أنه لم يكتف بالدرس بل اتصل أيضاً بنفوسنا، فكان يخرج من الدرس أحياناً إلى شرح حالة نفسية أو ظاهرة اجتماعية يصل بها إلى أعماق نفوسنا، وأخذنا بالنظام الشديد، وكان يقدس كل التقديس، فيشتمز من الكلمة النائية ومن اللفظة تكتب منحرفة قليلاً عن موضعها، ومن النكتة إن كان فيها قليل من الشذوذ.

ولاتسل عنه في ورق الامتحان، فقد كان يصحح أوراقنا في دقة غريبة، ويأتي بالأوراق مدونة فيها ملاحظاته في اللفظ والمعنى والأسلوب والخطأ الإملائي والخطأ التاريخي، ويتقدنا انتقاداً لا ذعاً لكن ظريفاً.

من أجل هذا كان الأستاذ محبوب والأستاذ الجليل والأستاذ الظريف والأستاذ العالم.

لم تطل دراسته في مدرسة القضاء، وانتقل إلى وظيفة إدارية. ولم يطلب الانتقال لرغبة في مال فهو يحتقر المال، ولا في جاه فهو يحتقر الجاه، ولا لرغبة عن التعليم فهو يحب التعليم ويصارحنى أن أكبر غلطة ارتكبها أنه تمحول من التعليم إلى الإدارة، ولكنه كان شديداً، وكان عاطف بك ناظر المدرسة شديداً، وكان لكل شخصيته القوية، ولكل آراؤه في سياسة الطلبة، فتصادما تصادماً نفسياً من غير أن ينبس أحدهما بكلمة؛ وكان أن خرج «على فوزى» من المدرسة آسفين عليه كل الأسف شاعرين أنه لا يمكن أن يعوض، وكان «عاطف» أول من حزن على خروجه بعد أن حاول كل محاولة في استبقائه.

كان حساساً إلى درجة لا تتصور. تجرحه الكلمة الخفيفة لا يشعر بها أحد، والاشارة القليلة تصدر من رئيسه فيظنها بالغة متتهى الشدة، والإيماء المعتادة فتحز في نفسه وتصل إلى أعماق قلبه.

فكيف يستطيع بعد أن يكون موظفاً؟ لقد تداول عليه وزراء عديدون لا أسميهم، كل منهم جرح نفسه جرحاً بل جروحاً. وأى الرؤساء يتحاشى حتى الهنات الهيئات مع مرموسيه؟ وأى الرؤساء يدرك مقدار السهام المسمومة التي يوجهها إلى نفس كنفس على «فوزى» وهو لا يرى أنها سهام أصلاً بل قد يظنها نوعاً من الملاطفة؟ - لقد رآه وزير

يكتب خطاباً بالانجليزية فأعجبه بلاغته فقال له: لعلك تحسن أن تكتب مثل هذا بالعربية! فما كان أشدها وقعاً في نفسه. ثم هو يعشق العدل المطلق الدقيق، ويؤله أشد الألام الظلم الخفيف. وكان كل يوم يرى تصرفات في الوزارات لا تتفق والعدالة التي ينشدها: هذا يحابي المتملقين، وهذا ينصر الأجانب على المصريين، وهذا يمنح ترقية وعلاوات لغير المستحقين.

ثم ما هذا النظام السخيف للدرجات؟ فهذا موظف في الدرجة الأولى وآخر في الدرجة الثانية إنه يفهم أن يبدأ الموظف بمرتبة صغير يزيد على القدم والكفاية، ولكنه لا يفهم تقسيم الموظفين إلى طبقات يعلو بعضها بعضاً، ويدل بها بعضهم على بعض.

لا. لا. ثارت نفسه على كل ذلك، ففي هدوء وسكون، ومن غير أن يشعر أحد من أصدقائه بمر أمره وأعد عدته للخروج من الوظائف الحكومية، وألح في طلب إحالته إلى المعاش، فكان له ذلك. ورضى بنحو خمسة وعشرين جنيهاً في الشهر على ثمانين وما كان يتبعها من علاوات وترقيات وحسابات معاشات.

بل ليست الوظيفة وحدها هي التي يجب الفرار منها، بل يجب الفرار أيضاً من مصر، فما مصر هذه التي يحكمها الأجنبي وتستسلم له؟ وما مصر التي يستمتع فيها صعاليك الأجانب بما لم يستمتع به سادة أهلها؟ وما مصر التي تجلس في مقهى من مقاهيها فتشعر أن الرومى الذي يقدم لك القهوة خير منك وأعز منك، ويستطيع أن يحتقرك وأن ينكل بك ولا تستطيع أن تفعل به ما يفعل بك؟ وما مصر التي لم تستطع أن تكون غنية في أطباؤها وعلماؤها وتجارها وصناعها ولم تزل عالة في كل ذلك على غيرها؟ لا بد إذن من الحرب من الوظيفة ومن مصر معا.

خرج من مصر ساخطاً غاضباً آسفاً حزينا، خرج هائماً على وجهه يمثل دور جده. لقد كان جده المملوك الشارد، فكان هو الحر الشارد خرج إلى أوروبا هائماً في ممالكها، ولكنه كان فيها مسترحماً،

جند عميد الأسرة، فأحلت الأسرة فقيدنا محله على رأس المائدة.

وكان كثيراً ما يدور الجدل على المائدة في نظريات الحرب وخصوصاً الفتي والفتاة، فكان الفتي يذهب مذهب أبيه ويتعصب لفرنسا وحلفائها، والبنت تذهب مذهب أمها وتعصب لألمانيا وحلفائها؛ ثم كان من الفتي أن طعن تركيا في سمعتها وقيمتها، ولم يكن يعرف عصية الفقيد لتركيا، فلم يعد على فوزى يطيق البقاء بعد في البيت، ولكن ماذا يصنع ووفائه يقضى بمراعاة هذه الأسرة بعد غياب عميدها، وعصيته التركية تأتي أن يسكن في البيت بعد ما كان من الفتي؟ لا يحل هذا الاشكال إلا احتقار المال، فقد تظاهر بأنه يأخذ درسا على السيدة الألمانية ودفع ما كان يدفعه أيام سكناه لم ينقص منه شيئاً وإن قلل ذهابه بعد ذلك لأخذ الدرس

وكان منظره في استانبول غريباً: يجلس في مقهى عرفه البؤساء والمحتاجون فهو يمنحهم ما أمكنه وهو الفقير الذي لا دخل له إلا معاشه الخمسة والعشرون جنياً، ينفق منها ثلثها على نفسه وثلثها على مروه، وطويل أن نعد مآثره في هذا الباب

أحب العزلة وأكثر التفكير، فهو في بيته وحده، إذ لا زوجة له ولا ولد، وفي ترويضه وحده غالباً؛ هو وحده في أكثر أوقاته، صديقه الكتاب، ثم ضعفت أعصابه ففقد صداقة الكتاب أيضاً إلا نادراً، وكان تفكيره في العالم حيناً وفي نفسه كثيراً

وهذه حالة تستبج الوحشة وتستبج التشاؤم، وتستبج الحزن والانقباض، وكذلك كان شأنه

غلب عليه الخجل في غلو، والخجل — كما يقول بعض علماء النفس — سببه ككرة تفكير الإنسان في نفسه، فهو إذا مشى ظن أن الناس كلهم ينظرون إليه وينقدون مشيته؛ وإذا تكلم ظن أن الناس كلهم ينصتون إليه وينقدون كلامه؛ وإذا تحرك أو سكن أو تنفس فالناس يعدون حركاته وسكناته وأنفاسه؛ فكان هذا الخلق فيه أكثر شقائه. وبلغت به الحالة أن كان في آخر أيامه إذا جلس في مقهى اختار مكانه وراء عمود، وإذا سكن في «بنسيون»، صحا قبل أن يصحو

نعم إنه يتكلم لغاتها ويفهم مدنياتها ولكن ليس قومها قومه، لا دينها دينه، ولا روحانياتها روحانيته. ثم ألقى عصاه في الأستانة عقب الحرب واطمأن إليها، فهي هي البلدة المستقلة بين ممالك البلاد الإسلامية؛ وهي هي التي لا تذللها الامتيازات الأجنبية؛ وهي التي يجد فيها غذاء روحه وعواطفه بمساجدها العظيمة ومآذنها التي تشق السحاب. من أجل هذا اختار السكن فيها، وفي الأحياء الوطنية لا الأجنبية، واتخذ مجلسه في مقهى تركي بلدى تحت شجرة زيزفون بجوار حائط مسجد بايزيد

ثم حاول صداقته جهدهم أن يحولوه عن رأيه ويعدلوا به عن غربته، فذهبت محاولتهم عبثاً. عرضوا عليه وظائف مختلفة الألوان كان آخرها مدير دار الكتب، فكان جوابه: متى عرفت سبب خروجي من الوظيفة وسبب خروجي من مصر لم ترضوا هذا العرض؛ فالأصل قبل الفرع، والحرية مع الفقر خير من الذل مع الغنى

قد رزق عيناً يرى بها غير ما يرى جمهور الناس؛ فكثيراً ما كان يحتقر من يحله الناس، ويحجل من يحتقره الناس، لأن له مقاييس في التقدير تختلف عن مقاييس الناس. ليس في مقاييسه اعتبار لثروة ولا جاه، ولا منظر، ولا حسب، لا نسب.

حتى مكانه العام الذي كان يختاره لمقابلة أصدقائه لا يختاره لوجهته، وإنما يختاره لنظافته، ولأن صاحبه مسلم، ولأنه يتنفس فيه جواً شرقياً لا غربياً، ولأنه ليس فيه امتيازات أجنبية، وهكذا من اعتبارات متعددة لم أستطع أن أعرف منه إلا بعضها

ويفضل أن يزور حلاقاً كان زميلاً له في المدرسة على أن يزور باشاً من الباشوات أو من بعده الناس كبيراً من الكبراء

قد أعظمه في عيونا صغر الدنيا في عينه؛ فليس للبال عنده إلا وظيفتان: قليلة يتبلغ به ويسد حاجاته الضرورية، وكثيرة للبرومة. وأعرف له في ذلك فصلاً غاية في السمو، فلقد كان حيناً يسكن في أسرة أوربية عبيدها فرنسي، وربة الدار ألمانية ولها ابن وبنت. حتى إذا نشبت الحرب العظمى

في التاريخ السياسي

الدستور الهندي الجديد

هل يكون نذير ثورة قومية جديدة

لمؤرخ كبير

الهند الآن في مفتتح عهد جديد من تاريخها قد يكون بدء استقرار وسكينة ، وقد يكون فاتحة مرحلة جديدة من النضال بين الوطنية الهندية وبريطانيا العظمى . والمسألة الهندية تعود فتشغل الأذهان في الهند وفي انكلترا ، وتستغرق أعظم جانب من اهتمام السياسة البريطانية . ذلك أن دستور الهند الجديد قد بدأ تطبيقه منذ أول إبريل الجاري ، وهو الدستور الذي أقره البرلمان الانكليزي بعد مناقشات طويلة عنيفة ، وصدر في يناير سنة ١٩٣٥ باسم قانون حكومة

الناس وعاد بعد أن ينال الناس حتى لا يراه الناس : وإذا عزم على الرياضة فليلا حتى تستره ظلمة الليل ، وإذا مشى في الشارع ليلا اختار من الشوارع أحلاها من الناس

تملكه خلق الرحمة فظهر منه في كل شيء : رحم الناس فخرج لهم عن ماله . ورحم المرأة فأن أن يتزوج ، ورحم الحيوان فعاش نباتيا ، وأخيرا رحم نفسه . وويل للإنسان إذا رحم نفسه وأشفق عليها ! إنه لينغذب في ذلك عذابا لا يعذبه أحد . نعمة كبرى أن يرحم الإنسان غيره ، وشقوة كبرى أن يرحم الإنسان نفسه ، فالرحمة استضعاف للرحوم ، فإذا استضعف نفسه فهناك الألم وهناك الحسرة ، وهناك فقدان الثقة بالنفس ، وهناك انسحاب من الجهاد في الحياة ، وهل الحياة إلا جهاد ؟

رحم الله ، على فوزي ، فقد عاش غريبا ، ومات غريبا ، وأخشى أن يبعث غريبا

محمد أمين

الهند ، Government of India Bill ، مؤلفاً من أربعمائة وإحدى وخمسين مادة ، وخمسة عشر ملحقاً على أن يبدأ تطبيقه منذ أول إبريل سنة ١٩٣٧

وقد اقترن تطبيق الدستور الجديد بحوادث داخلية خطيرة . ذلك أن الانتخابات التشريعية أجريت طبقاً لنصوص الدستور الجديد في شهر فبراير الماضي ، في إحدى عشرة ولاية تضم مجالسها التشريعية ١٥٨٥ كرسيًا ، فتقدم لها نحو خمسة آلاف مرشح ؛ هذا عدا المجالس التشريعية العليا التي تضم ٣٦٠ كرسيًا ؛ وبلغ عدد الناخبين نحو ثلاثين مليوناً منهم خمسة ملايين امرأة ؛ ففاز حزب المؤتمر الوطني وهو أعظم الأحزاب الهندية وحزب الوطنية المتطرفة ، وزعيمه البانديت جواهر لال نهرو بالأغلبية المطلقة في ست ولايات من الإحدى عشرة . وكان المفهوم أن الحكومة المحلية الجديدة تتألف من الأغلبية البرلمانية على قاعدة المسؤولية الوزارية طبقاً للدستور الجديد ؛ ولكن حزب المؤتمر رفض أن يضطلع بأعباء الحكم في الولايات التي فاز فيها ، فليجأت الحكومة البريطانية إلى اختيار أعضاء الحكومات الجديدة بطريق التعيين حسبما نص عليه الدستور أيضاً ؛ بيد أن هذا الاجراء لا يمكن أن يعتبر في بداية العهد الجديد حلاً موقفاً ، بل ربما كان بالعكس نذير مرحلة جديدة من النضال بين الوطنية الهندية والسياسة البريطانية

وترجع هذه المفاطعة من جانب حزب المؤتمر ، حسبما صرح وزير الهند اللورد زلاند في مجلس اللوردات إلى ما طلبه حزب المؤتمر من ضمانات خاصة لتولي أعباء الحكم ؛ خلاصتها أن يتعهد الحاكم بأن يتبع مشورة وزرائه وألا يخالف القرارات الدستورية ، وألا يستعمل سلطته الخاصة في التدخل أو الضغط على الوزارة ، وهي عهد أبي الحكم أن يقطعوا حزب المؤتمر . وترتب على ذلك أن قرر الحزب التنحي عن قبول أعباء الحكم ، فخلق بهذا التنحي موقفاً في غاية الخطورة والحرج ؛ ويتأهب الحزب الآن ليخوض عن طريق المعارضة البرلمانية نضالاً عنيفاً لا يمكن التنبؤ بعواقبه

والدستور الهندي الجديد هو أقصى مرحلة ملغتها السياسة

الشؤون، ثم التقرير عما اذا كان يرغب في تطبيق مبدأ الحكومة الذاتية والى أى حد، أو ما اذا كان يجب توسيع أو تعديل أو تقييد مرحلة الحكم الذاتى القائمة. ويدخل فى ذلك بحث ما اذا كان يرغب فى إنشاء قاعة تشريعية أخرى فى المجالس التشريعية المحلية. واستمرت اللجنة فى طوافها ودراساتها بالهند مدى أشهر، وانقسم الرأى العام فى الهند ازامها قسمين، فريق يؤيد التعاون معها، وفريق وهو الأغلبية يدعو الى مقاطعتها. وفى أواخر سنة ١٩٢٩ ألقى اللورد ايرون نائب الملك تصريحه المشهور بان الغاية التى تتوخاها الحكومة البريطانية من الاصلاح الدستورى هى الوصول بالهند الى مركز الاملاك المستقلة (نظام الدومينيون)؛ فبك هذا التصريح فى الحركة القومية روحا جديدا، وأيقنت انها سائرة الى الظفر، ونزل غاندى الى ميدان النضال ككرة أخرى، وقام بحملته الشهيرة فى سبيل العصيان المدنى، وعادت السياسة البريطانية الى خطة القمع العنيف، وقبض على غاندى وآلاف عدة من أنصاره، ولكن الاضطراب بلغ حدا اضطرت معه السياسة البريطانية الى التراجع، فتفاوض نائب الملك مع غاندى، وأطلق سراح الزعيم الكبير، واتفق على أن يشهد مؤتمر الهند الذى أزمع عقده فى لندن لبحث المسألة الهندية وان تلغى حكومة الهند جميع اجراءات القمع التى اتخذتها

وفى أثناء ذلك صدر تقرير لجنة سيمون فى مجلد ضخيم، وفيه بحوث ضافية عن أحوال الهند الاجتماعية والطائفية. وخلاصة رأى اللجنة هو أن تجربة الاصلاح الدستورى مدى الأعوام العشرة ليست كافية لتقرير الخطة الدستورية الملائمة، وان الشعب الهندى، نظرا لظروفه الجنسية والطائفية، وما يفرق بين عناصره من اختلافات عميقة فى الدين واللغة والتقاليد والعادات والخواص، ليس أهلا للتمتع بحكومة ذاتية مسؤولة؛ وأما فيما يتعلق بالتوصيات، فقد أوصت اللجنة بعدة اصلاحات نظامية وادارية خلاصتها أن تعتبر الهند البريطانية دولة متحدة قوامها الولايات، وان تعدل حدود الأقاليم الحالية، وأن يمنح حق الانتخاب لبعض الطبقات بشروط معينة، وأن يستبقى المبدأ الطائفي فى توزيع الدوائر الانتخابية، وان تفصل ولاية بورما عن الهند لأنها تكون وحدة مستقلة، وبعض توصيات

البريطانية فى تحقيق الأمانى الهندية فى سبيل الحكم الذاتى؛ وكان أول خطوة قطعتها السياسة البريطانية فى هذا السبيل فى سنة ١٩١٩، غداة الحرب الكبرى، حينما رأت أن تتيب الهند البريطانية عما قدمت لبريطانيا العظمى من جليل المعاونات فى الحرب الكبرى. فى ديسمبر سنة ١٩١٩، استصدرت الحكومة البريطانية دستور الهند الجديد المعروف بدستور مونتاجو وشلسفورد؛ والأول وزير الهند والثانى نائب الملك فى ذلك الحين؛ وعمقتى هذا الدستور منحت الهند لأول مرة بعض الحقوق والمزايا الدستورية المحدودة؛ فألغى المجلس التشريعى الذى كان خاضعا لرأى نائب الملك، وأنشئت مكانه هيئة تشريعية جديدة تضم هيتين: الأولى مجلس الدولة Council of state والثانية الجمعية التشريعية Legislative Assembly، وتولف الأولى من ستين عضوا منهم ستة وعشرون معينون، والثانية من مائة وأربعة وأربعين عضوا منهم أربعون معينون؛ واختصت الحكومة المركزية بالنظر فى الشؤون السياسية والمالية والدفاع الوطنى والاشراف على الامارات وقصرت مهمة الحكومات المحلية (حكومات الولايات) على معالجة الشؤون الادارية؛ ونص فى الدستور الجديد على أنه مؤقت وأنه تمهيد لانشاء الحكم الذاتى، وأنه سيعاد النظر فيه بعد فترة انتقالية قدرت بعشرة أعوام

ولكن هذه المنحة الضئيلة كانت صدمة شديدة للأمانى الهندية، فاضطرت الهند من أقصاها الى أقصاها بغيرة قوية من السخط، وظهر مهاتما غاندى فى الميدان يذكى ضرام الحركة الوطنية بدعوته الى المقاطعة السلية والعصيان المدنى، رجازت الهند مرحلة عنيفة من الاضطراب؛ ولجأت السياسة البريطانية الى وسائل القمع المنظم. وفى سنة ١٩٢٨ بدأت اللجنة الدستورية أو لجنة الاصلاح الدستورى التى ألفت برئاسة السير جون سيمون مهمتها فى درس المسألة الهندية، وكان تالفها تطبيقا لدستور مونتاجو وشلفورد، اذ نص على إعادة النظر فيه بعد عشرة أعوام، وحددت مهمة اللجنة الجوهرية بما يأتى:

ان تبحث فى كيفية سير الادارة الحكومية، ونمو التعليم وتقدم النظم النيابية فى الهند البريطانية وما يتعلق بذلك من

ثانوية أخرى لأصلاح التعليم والنظم الادارية . وهكذا جاءت توصيات لجنة سيمون ضربة جديدة للأمانى الهندية القومية ؛ بيد أن الحكومة البريطانية أشارت يومئذ الى أن توصيات اللجنة لا تخرج عن الآراء الاستشارية ، وان مسألة الهند برمتها ستبحث في المؤتمر الخاص بذلك ؛ وعاون اللورد ايروين بتصريحه بان الحكومة البريطانية تبغى بالاصلاح الدستورى أن تصل بالهند الى مركز الدومنيون ، ، على تهدة الراى العام والتمهيد لعقد المؤتمر في نوع من التفاهم والوثام

وفي اكتوبر سنة ١٩٣٠ عقد مؤتمر الهند المعروف بمؤتمر المائدة المستديرة في لندن ، وشهده غاندى ممثلا للهند مع عدد كبير من الزعماء الهنود يمثلون مختلف الطوائف والاجزاب ، ولكن المؤتمر عقد في جو من الاضطراب والخلاف ، وانشق ممثلو الهند على أنفسهم في المسألة الطائفية ، فرأى غاندى أن يتمسك بالانتخاب المطلق ، ورأى المسلمون ان يحتفظوا بالحقوق والنسب الطائفية . ولما اشتد الجدل والخلاف ، وعجز المؤتمر عن الوصول الى اتفاق شامل ، أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستناول الأمر بيدها مادام الهنود أنفسهم لم يتفقوا وهكذا استعادت الحكومة البريطانية حريتها في العمل ، واتخذت تقرير لجنة سيمون ومقترحاتها أساسا لوضع الدستور الهندي الجديد ؛ وصدر قانون الهند الجديد في يناير سنة ١٩٣٥ بعد مباحثات ومفاوضات شاقة بين الحكومة والأحزاب ، وبعد مناقشات عنيفة داخل البرلمان وخارجه ، وبدى بتطبيقه في الهند البريطانية منذ أول ابريل سنة ١٩٣٧ حسبما نص فيه ؛ فعدت الهند دولة اتحادية ، واستقلت ولاية بورما بشؤونها ، وأجريت الانتخابات الأولى طبقا للدستور الجديد حسبما قدمنا

وقد شرح نائب الملك اللورد لنثجو مذ كان رئيسا للجنة الهند قواعد الدستور الجديد في بيان رسمي جاء فيه : « يقضى النظام الحالي بان تشرف الحكومة المركزية على أعمال الحكومات المحلية وتراقبها . ولكن الدستور الجديد يرفع هذا الاشراف ، وتغدر الحكومات المحلية مستقلة في معظم شئونها ، ويتمتع السكان بحكوماتهم المستقلة . أما الحكومة

المركزية الجديدة فسوف تغدو حكومة اتحادية . » بيد أن الحكومة المركزية تحتفظ بالنظر في مسائل الدفاع عن البلاد وفي مسائل السياسة الخارجية ، وليس لوزرائها أن ينصحوها في هذه الشؤون . كذلك يعتبر كل حاكم ولاية مسؤولا عن حفظ الأمن والنظام في ولايته ، وله الحق في أن يتخذ ما يجب من الاجراءات الضرورية دون رأى وزرائه . » وسيتلقى حاكم الولاية التعليمات مباشرة من وزير الهند ، كما يتلقى التعليمات من الحكومة المركزية . وهكذا نستطيع أن نقول ان الولايات الهندية ستحكم طبقا لآراء الوزراء الهنود المسؤولين أمام البرلمانات المنتخبة ، ماعدا بعض مسائل خاصة تبقى خاضعة لإشراف البرلمان الانكليزي »

والآن يطبق الدستور الجديد في ظروف دقيقة ويقف حزب المؤتمر الوطنى بعد ظفره بالأغلبية البرلمانية المطلقة في الولايات الست موقف المعارضة . ولقد أعلن زعيم الحزب البانديت نهرو قيل بدء الانتخابات ان حزبه يعارض الدستور الجديد منذ البداية ، وانه يخوض الانتخابات لا لكي يتعاون مع الحكومة ، ولكن لكي يستعين على محاربتها بالأغلبية البرلمانية ؛ وقد نفذ الحزب وعيده فأبى أن يضطلع باعباء الحكم في الولايات الست لأنه لم يحصل على الضمانات المطلوبة ، واضطرت السلطة التنفيذية أن تقيم حكومات من عندها ؛ وبذا يشل تطبيق الدستور الجديد منذ الساعة الأولى . والمعارضة تقوى كل يوم وتشتد ؛ فاذا ترمع السياسة البريطانية أن تفعل ؟ ان السياسة البريطانية لابد أن تجد لها مخرجا من هذا المازق سواء بالتفاهم والمفاوضة ، أو بالمضى في تجاهل المعارضة وتحديها ؛ بيد أنها سوف تؤثر خطة اللين بلا ريب ؛ وقد رأت السياسة البريطانية ان تقف في تحقيق الأمانى الهندية في سبيل الحكم الذاتي عند هذا الحد المتواضع بعد أن لوحث للهند ابان اضطرام الحركة الوطنية ، بامنية الاستقلال الذاتي . أما اليوم وقد خبت الحركة الوطنية ، وسرى اليها التفرق والوهن ، فان الهند لا تستطيع أن تطمح الى نيل المزيد دون أن تخوض مرحلة جديدة من النضال

« مؤرخ »

النفس وخلودها عند ابن سينا

للدكتور إبراهيم يومي مذكور

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

- ٦ -

قد يكون أنصار المادية المفرطة معذورين في زعمهم أن ليس ثمت إلا الجسم وأجهزته والمنح وآثاره، فانهم يرجعون الظواهر العقلية على اختلافها إلى مصدر ثابت ومنبع معين. كما أن المثاليين الغلاة يتفادون بعض الصعوبات حين يذهبون إلى أن النفس وحدها هي الحقيقة، وما وراءها صور وأوهام فان هؤلاء وهؤلاء لا يعترفون إلا بأصل واحد ماديا كان أو روحيا ينبون عليه تفسيراتهم وحلولهم. أما من يقولون بالجسم والنفس، بالمادى والروحى، بالثنائية على العموم، فانهم يصطدمون بعقبة لم يجدوا السبيل إلى تذليلها. وكيف يمكن ربط المختلف والتوفيق بين المتنافر وضم أمرين من طبيعتين متغايرتين أحدهما إلى الآخر؟ لهذا كانت الصلة بين الجسم والنفس عقدة العقد ومشكل المشاكل في كل مراحل التاريخ

فقدما نرى أفلاطون، وهو أكبر ممثل للثنائية لدى اليونان، مضطرباً وغامضاً إزاء هذه المشكلة، فيقول حيناً إن النفس متميزة كل التميز من الجسم وانها الانسان على الحقيقة، ويظن حيناً آخر أنهما على اتصال وثيق بينهما عراك دائم، فالجسم يصرف النفس عن الفكر ويجلب عليها آلاما كثيرة بميوله وأهوائه، وهى من جهة أخرى تحاربه وتجد في الخلاص منه، ولكن كيف يتم هذا التفاعل ويلتقى الجسم بالنفس ويؤثر كل منهما في الآخر؟ هذا ما لم يجب عليه أفلاطون. ولعل أرسطو قد حاول التخلص من هذا المأزق حين ذهب إلى أن النفس صورة للجسم؛ والصورة والمادة متصلان ومتداخلان بحيث يكونان شيئا واحداً. بيد أن هذا الحل غامض كذلك ولا يخطو بنا إلى الامام كثيراً. ومع هذا فقد قرر له نجاح كبير في القرون الوسطى؛ فان أغلب الفلاسفة المدرسين يزعمون أن النفس صورة للجسم في الوقت الذى

يقررون فيه أنها جوهر روحى ذو شخصية مستقلة، وهذا تناقض مكشوف

وفى التاريخ الحديث يعيدها ديكرت جذعة، ويشير هذا الموضوع في شكل حاد، ويقول بجوهرية الجسم والنفس معاً مبرزاً الأول بالحيز والثانية بالتفكير؛ وهذه هى الثنائية الأفلاطونية في أجلى مظهر. ولكن عبثاً حاول ربط هذين الجوهرين أو إيجاد علاقة بينهما. ثم طمع أتباعه في أن يتلافوا هذا النقص فلم يكونوا أعظم منه خطأ. وربما كانت فكرة التناسق الأزلئ التى قال بها ليبنتز هى أشهر محاولة في هذا الباب، فهو يعتقد أن الجسم والنفس نسقا أزلا بحيث يتفقان وإن صار كل منهما في طريق خاصة؛ وخضوع الأول لقوانين السببية لا يحول دونه، والارتباط بالآخيرة التى تخضع لقوانين الفانية. وما أشبههما بساعتين محكمتى الصنع تلتقيان في قياس الزمن، وإن كانتا تبتزانه بأشكال مختلفة. تصوير جميل ومهارة في التوفيق، شأن ليبنتز في كل فلسفته؛ غير أنه في الواقع توفيق صوري وربط خيالى، فان مؤداه أن لاصلة بين الجسم والنفس، أو أن الصلة بينهما أنهما لا يتعارضان ولا يتعاكسان

لم يغفل ابن سينا هذه المشكلة ولم يتردد في حلها وتوضيحها، وكيف يغفلها وهو من أنصار الروحية والثنائية؟ وقد سبق لنا أن لخصنا البراهين العديدة التى يستدل بها على جوهرية النفس وروحانيتها. وفى رأيه أن الجسم والنفس متصلان اتصالاً وثيقاً ومتعاونان دون انقطاع. فلولاً النفس ما كان الجسم، فانها مصدر حياته والمديرة لأمره والمنظمة لقواه. ولولا الجسم ما كانت النفس، فان تهوؤه لقبولها شرط لوجودها، وتخصصه بها مبدأ وحدتها واستقلالها؛ ولا يمكن أن توجد نفس إلا أن وجدت المادة الجسمية المعدة لها؛ فهى منذ نشأتها تواقه إلى الجسم ومتعلقة به ومخلوقة لأجله. وفى أدائها لمهامها الكثيرة تستخدمه وتعول عليه. ويكفى أن نشير إلى التفكير الذى هو عملها الخاص فانه لا يتم إلا أن أزقتها الحواس بآثارها^(١). وواضح أن العقلى ذو دخل كبير في الجسمى، فرب فكرة هيجت الجسم وأحدثت فيه انفعالات كثيرة،

(١) ابن سينا، الشفاء، ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٣: النجاة، ٢٩٧ - ٢٩٩.

شيء من التصرف، فتراه لدى الفارابي كما نراه لدى ابن سينا وأغلب الأطباء والفلاسفة المسلمين. والروح التي تربط القوى النفسية باجزاء الجسم وتنفذ أوامرها ليست شيئاً آخر سوى الأنبيا (Pneuma) التي قال بها اليونانيون الأول. وذلك أن ديوجين الأبولوني يزعم أن التفكير إنما يتولد من ذلك الهواء الذي يسبح في أورددة الجسم وشرائبه^(١). ويقول هيرافليط إن التنفس يغذي النفس بالهواء الذي لولاه ما كانت حياة ولا عقل^(٢) ومن هنا تولدت نظرية الأنبيا التي لعبت دوراً هاماً في الفسيولوجيا وعلم النفس القديم.

ومعظم أطباء الأغريق لا يرون في الأنبيا مصدر القوة والحرارة الانسانية فقط، بل يعدونها منبع التفكير، وكثيراً ما يخلطون بينها وبين النفس. والرواقيون بوجه خاص وإن قالوا بجسميتها يصفونها بكل الصفات الروحية. وقد قدر لهذه الفكرة أن تحيا إلى أن استكشفت الدورة الدموية التي قامت على أنقاضها. ويظهر أن قسطا بن لوقا البعلبكي والمترجم المشهور المتوفى سنة ٨٣٥ ميلادية هو أول من أدخلها في العالم العربي، فقد كتب بحثاً صغيراً فرق فيه بين النفس والروح^(٣) فبينما الأولى في رأيه جوهر روحي بسيط غير قابل للفناء إذا بالثانية جسم لطيف يشرف على أعمالنا العضوية والعقلية، وإذا ما توقف عن الحركة كان الموت. فالروح إذن أداة النفس وبواسطتها يتحرك الجسم وبعد الإدراك، وبذا استطاع قسطا أن يوفق بين الأنبيا التي يعول عليها الأطباء والنفس التي ينادى بها الفلاسفة، وقد سار على سنته من جاء بعده من مفكري الاسلام.

وأما الصلة بين القلب والدماغ وأثرهما في الظواهر النفسية فتلك نقطة خلاف بين أرسطو وجالينوس. ففي حين أن الفيلسوف يرى أن القلب هو مركز القوى النفسية الرئيسية نجد الطبيب يصعد بذلك إلى الرأس ويعتبره المهيمن على كل الحياة العقلية. وابن سينا، وإن كانت منزلته الطبية لا تقل عن درجته الفلسفية، لا يتردد في أن ينتصر لأرسطو. ويصرح، على أي أساس لا أدري، أن الفلاسفة هم أصحاب

والجسمي أيضاً أثر على العقلي، فقد تنتج الحركة فكرة ويبحث اعتدال المزاج على الغبطة والسرور^(١). يقول ابن سينا: «انظر أنك إذا استشعرت جانب الله وفكرت في جبروته كيف يقشعر جلدك ويقف شعرك، وهذه الانفعالات والملكات قد تكون أقوى وقد تكون أضعف، ولولا هذه الهيئات ما كانت نفس بعض الناس بحسب العادة أسرع إلى التهتك أو الاستشاشة غضباً من نفس بعض^(٢)».

فهناك علاقة إذن بين الجسم والنفس وتأثير متبادل؛ وهذا قدر يتفق عليه كل أنصار المذهب الروحي ولا يعز عليهم إثباته، ولكن المشكلة هي: كيف يتم هذا التأثير وكيف يلتقي الجسم بالنفس؟ لكي يجيب ابن سينا على هذا السؤال يلجأ إلى طبه مستمداً منه بعض الملاحظات الفسيولوجية، فيوزع أولاً قوى النفس المختلفة على أجزاء الرأس ويعد لكل واحدة منها مقراً معيناً، فالخس المشترك مثلاً متمركز في أول التجويف المقدم للدماغ، والمصورة في آخر هذا التجويف، والوهم في نهاية التجويف الأوسط، والحافظة في التجويف المؤخر^(٣). ويلاحظ ثانياً أنه لا بد لهذه القوى من خدم تنفذ أوامرها ومطايا تحمل آثارها. ودهطتها جميعاً جسم لطيف روحاني منتشر في الجسم، يخرج من القلب ويمتد إلى سائر الأطراف، ولا أدل على هذا من أنه إذا تصلب أو انسدت مسالكه انقطعت الحركة والإحساس. وهذا الجسم هو الروح التي تمتد الأعضاء بالحرارة الضرورية للحياة وتربط القوى النفسية بعضها ببعض، فكان القلب الجزء الرئيسي الذي يلتقي فيه الروحي بالمادى والعقلي بالجسمي. حقا إن الدماغ يشرف على الجهاز العصبي ويتقبل الاحساسات ويدفع إلى الحركة، ولكنه هو أيضاً خاضع للقلب ومحتاج إلى الحرارة العضوية التي يبعث بها إليه^(٤).

هذه الفسيولوجيا تصعد إلى جالينوس وأبقراط وتمت بنسب إلى أرسطو. فإن تركيز قوى النفس في مناطق خاصة من الدماغ أمر عني به جالينوس، ثم أخذه عنه العرب في

(١) Janer, Hisr. de la philos., 744.

(٢) I bid., 752.

(٣) وصلنا هذا البحث عن طريق اللاتينية والعربية: ولقد نشر الاب لوبس شعخو الاصل العربي سنة ١٩١١.

(١) الانوارات، ١١١.

(٢) المصدر نفسه، ١٢١ - ١٢٢.

(٣) النجاة، ٢٦٦.

(٤) الشفاء، ج ١، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

في أدب المقارن

القصص

في الأدبين العربي والانجليزي
للأستاذ نوري أبو السعود

الميل إلى تأليف القصص والاستمتاع بسماعه طبيعان في الإنسان ، فهو كما يميل تبعاً لغريزة الاستطلاع إلى مشاهدته حوادث الحياة تترى أمام عينيه ، يميل إلى حكايتها لغيره كما رآها أو تخيلها ؛ ويميل إلى الاستماع إلى غيره يرويها له ، يشبع بها غريزة الاستطلاع وملكة الخيال من نفسه . والحياة ذاتها ليست سوى قصة متتابعة الحوادث متوالية الفصول . وليس بد لمن شاء وصف بعض مظاهرها أو ظروفها من اللجوء إلى القصص ، وإلى القصص يلجأ بداية كل صديقين تلاقيا بعد طول فراق ، وبالقصص يشغف الأطفال اشد الشغف ، وبه شغف الإنسان في عهد طفولته التاريخية .

كان القصص أول صور الأدب ظهوراً ، بل كان جماع الأدب والعلم والثقافة العامة لدى الجماعات الأولى ، يشمل معارفهم بالخلق والطبيعة والتاريخ وعقائدهم وتقاليدهم ، فما من شيء من ذلك كله إلا حاكوا له قصة ، ولا مظهر إلا اخترعوا له حكاية تعلقه ، فكان قصص تلك العهود علوماً بالخرافات والأوهام ، دأبوا حول لالهة والملوك والابطال والقبائل ، وبالجملة كان قصصاً رومانسياً تتكرر فيه الخوارق والعظائم والمفاجآت والمخاطرات . وقد تخلف من كل ذلك تراث حافل من نثر وشعر ، يمثل في أساطير الأولين من مصريين وفرس وإغريق ورومان ، وبارتقاء الجماعة العقلية يتخلص العلم ويبدأ من آثار العصور والخرافه ويختص الأدب بتلك الآثار وتتمثل في شعر الملاحم وما شاكلة وإذا ما ظهر النثر الفني فقد ولت في آثاره أساطير الأولين تلك ، وإن بطل الاعتقاد في كثير منها ، وخطا القصص إلى المرحلة الثانية من مراحل تطوره ، فالتخذ وسيلة لاسدء المواقظ وإذاعة التجارب وتحييد العصبية . أو لشرح النظريات العلمية أو الفلسفية ووضع لذلك على السنة الطير والحيوان ، أو أفواه الأرواح

الرأى والذين يستطيعون الفصل في مثل هذه المسائل ، ومع هذا فإنه لا ينكر ما للدماغ وأعصابه من دخل في الحركة والاحساس . ومهما يكن فلعل هذه الآراء هي منبع تعريف العقل المشهور الذي رددته المتأخرون من مؤلفي العرب ، فهم يكادون يجمعون على أنه قوة أودعها الله في القلب ولها شعاع متصل بالدماغ لانظن أنا في حاجة إلى مناقشة هذه الفسيولوجيا البائدة فإن كشف الدورة الدموية قد قضى على فكرة الانبثاق وما يتفرع عنها ، ودراسة الجهاز العصبي الحديثة لا تدع مجالاً لتلك الآراء التي كانت تعد القلب المركز الرئيسي للحياة النفسية . والنظرية القائلة بتوزيع المخ إلى مناطق نفوذ مستقلة تقوم كل واحدة منها بعمل خاص ، وإن كانت قد صادفت أنصاراً عديدين في القرن التاسع عشر ، لا تفسر الظواهر العقلية تفسيراً مقنعاً . على أن ابن سينا كان يمزج الفسيولوجيا بعلم النفس النظري ، ويخلط المادى بالروحي دون أن يوضح كيف يتفاعلان ؛ والصعوبة كل الصعوبة في توضيح هذا التفاعل . فهو إذن لم يوفق لحل مشكلة الصلة بين النفس والجسم ولم يأتنا فيها بجديد ؛ وكل ما عمله هو أن ضم أفكاراً أرسطية إلى أخرى جالينوسية على الرغم مما بينها من تناقض أو تعارض .

(يتبع)

ابراهيم مكرم

الحاكم بأمر الله

واسرار الدعوة الفاطمية

بقلم محمد عبد الله عنان

وهو آثم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله ، وشخصيته العجيبة ، وحياته المدهشة ، واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم الخلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة ؛ وعن أسرار الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرة

مجلد في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوع بدار النشر الحديث
أجود طبع وزين بالصور التاريخية

ثمنه ٢٠ قرشا والبريد أربعة قروش لداخل القطر وستة للخارج
يرسل من المؤلف بفران بشارع الماسي نمرة ٢١ ومن مجلة الرسالة
ومكتبة النهضة بشارع المدافع وسائر المكاتب الأخرى

وأعظم الضلع في التطور العقلي والمادى ، وهو أثر قل أن يجاريه
أثر الشعر في سالف العصور .

فالفصة ضرب من الأدب مرن ، يجمع مزايا الشعر كالخيال
والعاطفة إلى مزايا النثر كالرحب والدقة والاستقصاء والفائدة
العملية ، وهى بهذا تلائم العصر الحديث أكبر ملاءمة ، وهذا
سر ذبوعها حتى كادت تعطل ماعداها من ضروب القول ، فقد
تهدأت الأسباب من القرن الثامن عشر إلى اليوم لنهوض القصة —
الفنية ، التى تدرس نفس الفرد وحياته المجتمع وتحلل العواطف
وتشرح الآراء والمبادئ ، وذلك يرقى السواد الأعظم من الأمة
بعد أن كان هملا فى غابر العصور ، وانشار التعليم العام وبروز
شخصية الفرد وذبوع مبادئ الحرية والديمقراطية ، هذا إلى
ارتقاء الطباعة واعتماد الأدباء على الجمهور القارىء لا على رعاية
الأمراء والوجهاء

ولم تقتصر الفصة فى رقيها هذا الحديث على أن تميزت واستقلت
ضرباً قائماً من ضروب الأدب ، يتوفر على ممارسته بعض أقطاب
الأدب ، بل تطورت القصة تطوراً داخلياً ، وتميزت فيها ضروب
من القصص يتوفر على كل منها بعض القصصيين : فهناك القصة
التاريخية التى تدور حول الملوك والعظماء السابقين ، والقصة البيتية
التي تصور المجتمع المتواضع تصويراً شائفاً ، والقصة النفسية التى
تحلل بواطن النفس معتمدة على نظريات علم النفس الحديث
أحياناً ، والقصة الإصلاحية التى تحاول تحسين حال العامل أو
تعديل بعض النظم القانونية أو الاجتماعية ، أو تقويم بعض
المعتقدات والتقاليد ، والقصة المستقبلية التى تنبأ بما سيصير إليه
الإنسان وتحاول تسديد خطاه إلى ما يجب أن ينزع إليه فى مستقبله ،
والقصة البوليسية التى تعرض حيل المجرمين وخطط متعقبهم من
الشرطة ، وقصة المغامرات التى تصف أعمال بعض الأفاكين
ورحلاته فى الجاهل

هكذا يتطور القصص ، من نوادر وأساطير بدائية واهية
القصد منتشرة النظام ، إلى صور فنية محكمة ، ومن أشباح مبهمه
وحوادث متضاربة إلى شخصيات ناطقة وسياق منطقي منسجم ،
ومن الخرافى والحارق والبعيد إلى الواقع العلمى والحاضر ، ومن
الماضى بآلته وأبطاله وعظائمه إلى الحاضر بمشاكله العادية وأفراده
المشهورين ، ومن اللفظ الطنان والخيال الشارد والعاطفة الثائرة
إلى المعنى المتدبر والتأمل الهادئ والوصف المفصل ؛ وهذه

والجان ، وصيغ أحيانا فى شكل حوار ، كما يرى فى قصص
لايزوب وجمهورية أفلاطون وحكايات لا فوتين وكتاب أميل
لروسو ؛ ويتطور القصص الشعرى أيضاً فتظهر الرواية الشعرية
التمثيلية ، وتحل محل الملحمة ، وينفصل التاريخ مستقلاً عن الأدب
متخلصاً جهده من الأساطير ، وإن ظل الاتصال بين التاريخ
والأدب وشيخاً طول العصور .

فاذا اطرده رقى الحضارة ونمو العلم وازدهار الأدب ورواج
النثر الفنى ، خطا القصص إلى مرحلته الأخيرة نحو الكمال ،
فصار فناً مستقلاً من كل غاية خارجية ، غايته الوحيدة غاية كل
الفنون ، وهى الجمال والشعور وتصوير النفس الإنسانية ، وصارت
له قواعده وتقاليده المفهومة ، وبلغ مكانة ضرب راق من ضروب
الأدب كالمحكمة والدرامة والخطابه ، وسامى به النثر الشعر وباراه
جولانا فى ميدان النفس الإنسانية وأداء لوظيفة الأدب ، وظهر
فى مضماره من خول الكتاب من يضاهون خول الشعر منزلة
ونبوغا ، بل ظهر من الأدباء من يجمع بين الشعر والقصص ،
وذهب الوهم الذى كان سائداً من قبل من أن القصص مطلب
هين ، وقصص شهب البراة سواء فيه والرخم

وللقصص ، إذا ما بلغ هذا الطور السامى من أطوار رقيه
مزايا يختص بها دون غيره من ضروب الأدب منظومه ومشوره
فهو يمتاز برحب المجال رحباً يمكن من ممارسه من تناول أطراف
الحياة المترامية ، بين جد وفكاهة ووصف وحكمة وعلم وأدب ،
وهو يفسح للخيال متسعاً بعيد الآفاق ، ويمتدح اللب بما يعرض
من دقائق الحياة وتفصيلها إلى جانب جلالها وبعيد أقطارها ،
وبه يعرض من أحوال الحب وأطواره ما يضيق الشعر نفسه
ذرعاً باستقصائه إلى لمحات خاطفة ، وقبل القصص كان النسيب
وقفاً على الشعر دون النثر ، والقصص لسهولة متاوله يذيع فى
الخاصة والعامة على حد سواء ، على حين كان الشعر وقفاً على
خاصة المثقفين .

ولذبوع القصص فى الخاصة والعامة وجد فيه المصلحون
وسيلة عديمة الظير لنثر آرائهم ودعائياتهم ، بتصوير الحال التى
يكرهون وإبراز مساوئها وعرض ضحاياها والتدبير بجنائها وتشخيص
سبل ملاقاتها ، كل ذلك فى أسلوب قصصى شائق تقبله النفس وتسيغه
وتقتنع به اقتناعاً كان صعب المثال لو عرض عليها الأمر فى
صورة النصيح أو الوعظ . ومن أشهر القصصيين الدعاة تولستوى
ولابسن وأبانيز وغيرهم ممن كان لهم أكبر الأثر فى الفكر الحديث

تطور ورقى مستمرين ، أحكمت أوضاعها وتعددت ضروبها وتتابعت أزيائها ، وظهر فيها كبار المؤلفين رجالا ونساء : منهم فيلنچ وديفر وسمولت كتاب قصص المغامرات ، وجين أوستن وشارلوت بروتي وسمز جاسكل مؤلفات قصص المجتمع ، وسكوت صاحب القصص التاريخية ، ودكنز وبتلر أصحاب القصص الإصلاحية ، وكونان دويل مخترع القصص البوليسية الذي صير اسم شرلوك هولمز علما على ذلك الضرب من القصص ، إلى غير هؤلاء . من القصصيين الذين لا يحصون ، وإلى غير تلك من ضروب القصص التي لا تستقصى . وفي تلك القصص تناول القصصيون اطراف الحياة المتباعدة وامتعوا النهوس وأرضوا الفن ، وما زالت القصة في صعود وكأنها لما تبلغ ذروتها

وفي خلال ذلك الوقت كانت الرواية التمثيلية تتطور وتبعث بعثا جديدا ، على صورة مائة للقصة المفرومة ، قوامها النثر السهل المرسل والواقع الحاضر ، ومرماها درس المجتمع والشخصيات وتحليل الآراء والمذاهب ، وظهر في مجاهارنولد بيت وبرايدشور وجالزوردي وغيرهم ، وإلى الأخيرين يعزى الفضل في كثير من الإصلاح الذي طرا على التنظيم الاجتماعية والمذاهب الفكرية في الجيل الأخير ، حتى شبه شو بمكنسه كهربائية ذهنية ، تنقي أوضاع العقول من خرافات وتعصب وحماقات وتقاليدها فاسدة

وكان للعرب في جاهليتهم قصصهم وأخبارهم وأيامهم وأساطيرهم ، متداخلا كل ذلك في شعرهم ونثرهم ، مختلطا بشعائهم ودينهم ، وقد تخلف كثير من ذلك بعد ذهاب الجاهلية ، وظل مختلطا بالأدب بمنزجا بالتاريخ ، يظهر في كتابات الجاحظ والأصمعي والطبري والأصبهاني ، وغيرهم من الكتاب والمؤرخين على السواء ؛ وحيكت نوادر جديدة حول اعلام الحب والحرب ، كابن أبي ربيعة وأبي نواس وعنترة ومهلهل ؛ وحوى القرآن الكريم طرعا جليلا من شائق القصص ، وما زالت السور المحتوية على قصص يوسف ومريم ونوح من أقرب سور القرآن إلى نفوس الخاصة والعامة ؛ ثم انتشرت الكتابة وذاع النثر الفني ، فدخل القصص طوره الثاني : الطور الذي فيه يستخدم وسيلة لغيره ، فأنخذ في كيلة ودمنة وسيلة لبث الحكمة ، وفي رسالة حي بن يقظان ذريعة لشرح مسائل الفلسفة ، ولا حاجة إلى القول بأن خصائص القصة الفنية في هذه الكتب وأمثالها كانت ضعيفة واهية

ثم تهمت بعض أسباب دخول القصة في طورها الثالث الفني ،

الصفات التي تكتسبها القصة في طورها الراقى تكتسبها معها أو بعدها الرواية التمثيلية التي هي أسبق من صاحبها إلى الظهور ، منهجر الشعر إلى النثر ، والخيال إلى الدقة ، وتدرس النفس والمجتمع دراسة القصة لها ، لانكادان تختلفان إلا شكلا وطريقة تناول . فصاحب الرواية التمثيلية يترك أبطاله يرسمون شخصياتهم وأخلاقهم بأفواههم ، وصاحب القصة لا يدعهم يفعلون ذلك إلا إلى مدى ؛ ثم هو يتولى عنهم الشرح ويحللهم تحليلا دقيقا ، ويكون من الأدباء من يجمعون بين كتابه الرواية التمثيلية والقصة المفرومة

كان للانجليز قصصهم وأخبارهم وأساطيرهم قبل أن يتحضروا كما كان لغيرهم من الشعوب ، وكان كل ذلك يتداول شعابها ، فلما تحضروا وعرفوا الكتابة كان الشعر كعادته أسبق إلى الرقي ، فظهرت فيه قصص تشوسر المسماة حكايات كنتربري ، ثم ارتقت الرواية التمثيلية في عصر اليزابت على يد شكسبير ومعاصريه رقبيا عظيما ؛ وبدأت القصة النثرية مرحلتها الثانية ، فأنخذت وسيلة لغيرها : أنخذها صاحب كتاب يوفيواس ، وسيلة لشرح آداب الجتلان ، وأنخذها مؤلف ديوتويا ، وسيلة لتصوير المدينة الفاضلة ، وأنخذها كاتب إاطلانطس ، وسيلة لبسط النظريات العلمية ، وفي كل هذه كان الفن هزيلا والشخصيات مطموسة أو معدومة والسياق متداعيا

ثم تبيأت الأسباب الاجتماعية والمادية والمعنوية سالفة الذكر اللازمة لدخول القصة طورها الثالث ، طور الفن المسلجم المهذب الذي يتوفر على تحليل النفس ودرس المجتمع ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر ، وقد بدا ذلك التطور تدريجيا كما هو الشأن في كل تطورات الطبيعة والمجتمع الإنساني ، فاستلخت القصة رويدا رويدا عن المقالة الاجتماعية التي كانت منتشرة إذ ذاك في الصحف الدورية على أيدي ستيل وإديسون : كانت تلك المقالة تهتم بالأحوال الاجتماعية ، وتعرض لشخصيات المجتمع تحللها ، وأولعت بشخص واحد يدعى سيرودجر ، تبعه في شتى المواقف وتطفه بشتى الملاحظات وتحيطه بمختلف الشخصيات ، فكان من بمنزلة تلك المقالات قصة ذات تصميم وشخصيات وبطل وحوار ووسط اجتماعي وهلم جرا ، ولم يبق أمام الكتاب الذين جاءوا بعد إديسون وستيل ، إلا أن يزيدوا التصميم إحكاما والحوار تسديدا والشخصيات بروزا

وكان تاريخ القصة بعد ذلك خلال القرنين السالفين تاريخ

باستقرار الحضارة والرفاهة ، ونضج الثقافة ورواج سوق الأدب وكان ذلك في القرن الرابع ، فبدأت تنمو بذور القصة الفنية التي تدرس المجتمع وتحلل الشخصية وتهتم بالتصميم الفني والفكرة الموحدة ، ويبدو كل ذلك في مقامات بديع الزمان ، فهذا الكاتب يمثل في المرية من هذه الوجهة مكان أديسون وستيل في الإنجليزية ، وقد أبدى في ثانيا مقاماته من نفاذ النظرة وبداعة الوصف وبراعة الفكاهة وتنوع الموضوعات ما هو جدير بأسمى أنواع القصص ؛ واخترع شخصية أبي الفتح الاسكندري فكان على الأرجح المؤلف العربي الوحيد الذي اخزع شخصية شائقة واضحة من صنع الخيال المجرد . ولم تكن شخصيات المقامات التالية فيما بعد إلا نسخاً مكررة منه لا ابتكار فيها ، وشخصية أبي الفتح الاسكندري تعين من مراحل تطور القصة العربية نفس المرحلة التي تعينها شخصية سير رودجر ديكفري من تطور القصة الإنجليزية .

فمقامات البديع في الأدب العربي بمثابة مقالات أديسون وستيل في الأدب الإنجليزي : تعين بدء ظهور القصة الفنية الاجتماعية التحليلية ، بيد أن تطور القصة العربية وقف عند هذا الحد لا يتخطاه . ولم يبلغ مرحلته التالية ، لأن الأسباب اللازمة لذلك لم تكن مكتملة : فالمقامات ذاتها قد ظهرت متأخرة ، ظهرت في أوج رقي الأدب العربي في القرن الرابع . وكان أجدر أن تأتي متقدمة في القرن الثاني مثلاً ، فليها باقي التطور المنشود الذي تلا مقالات أديسون وصاحبه في الإنجليزية ، وما ذاك إلا لزعة الجمود والتقليد التي كانت دائماً تخيم على الأدب العربي ، تمنع المغامرة الأدبية والابتكار والتنوع في الأشكال والموضوعات ، وفقدت المقامات بعد بديع الزمان صبغتها الاجتماعية وأصبحت لعباً بالالفاظ والمعاني .

أضف إلى نزعة الجمود تلك استمرار اعتماد الأدب على الأمراء دون جمهور الشعب ، قلما يصور رجاله مشاكل الشعب أو يحاولون الأخذ بيده وقيادة طريقه : فالحريري مثلاً حين تابع بديع الزمان وكتب مقاماته لم يكتبها بداع من داخل نفسه يدعوه إلى تناول مشاكل المجتمع ومطامع الشعب بالدرس والعرض والإصلاح والتوجيه ، بل امتثالاً لإشارة بعض الأمراء من إشارة حكم ، وطاعته غم ، كما يقول هو في مقدمته . وبحال أن ترقى القصة الاجتماعية في مجتمع أدباؤه متصلون من مشاكل شعبه لاندون بظل أمرائه

زد على ذلك مكانة المرأة في المجتمع ، التي كانت قد بلغت قبل أن يكتب البديع مقاماته حداً من التدهور بعيداً ، بعد ما كان من امتداد الفتوح واختلاط الأجناس ونقش الترسى والعبث . فحضر على المرأة الحجاب ، وخيم عليها الجهل واعتزلت المجتمع ، والمجتمع بنظر المرأة لا يخرج القصة الفنية التي تدرس الحب وتقديس الزواج وتشرح العواطف ، وإنما ينتج الشعر المستتر البذيء كشمس بشار وأبي نواس . وقد كان انهاض حال المرأة نصب عيني أديسون وستيل وغيرهما عن تلامهما من الفصيين كما كان الحب مدار أكثر القصص ، كما كان من النساء جم غفير من القصصيات كما تقدم .

وإلى نزعة التقليد التي كانت تسود الأدب العربي ، كان ذلك الأدب ينزع إلى الصنعة اللفظية : فقمامات البديع ذاتها مثقلة بالصنعة والمحسنات ، ولا غرو ، فإذا كان الأدب قد تخطى إلى حد بعيد عن مشا كل المجتمع ، فلم يبق له من مواد القول إلا النذر اليسير ، فلما أعوزه الافتنان في المعاني التفت إلى اللعاب باللفظ ، وإلى هذه الزركمة اللفظية قصد الحريري أول ما قصد في محاكاة البديع ، ولم يفكر قط في ابتكار جديد من جهة المعاني والأفكار — ولم يحاول الزيادة عليه من جهة تناول الموضوعات الاجتماعية ، بل اكتفى بالتقليد الشكلي ، لجعل في كل مقامة شخصين يروى أحدهما عن الآخر ، وتنقسم المقامة بذلك إلى قسمين . دهليز للقصة كما يقول العامة ، والقصة ذاتها التي تبدأ بظهور البطل ، ولم تجيء شخصية بطله في وضوح شخصية أبي الفتح وتعدد نواحيها

لحالة المجتمع العربي ، ونظام الحكم فيه ، ومنزوع الأدب العربي ، كل هاتيك لم تكن ملائمة لتطور القصص إلى كاله ، فوقف عند بدء التطور الثالث ، وهو التطور الفني التصميم ، فعرف الأدب العربي النوادر والأخبار والسير وما إليها ، وعرف الحكايات ذوات المغزى العلى أو الخلق ، ولم يعرف القصة الاجتماعية والنفسية ذات التصميم المحكم والشخصيات الواضحة ، والفكرة الموحدة والغاية المستقلة والموضع الفني ، ولم تسم القصة في الأدب العربي إلى منزلة عالية كالتى تمتع بها الشعر والخطابة والنقد ، وظل للشعر المكانة الأولى وبقى مستأثراً بأكثر ضروب القول ، ولم يظهر في القصة من الأعلام أمثال من ظهر في الشعر والنقد والخطابة ، وترك القصص المطول الحافل بالوصف الاجتماعي والخيالى للعامة

فهمرى أبو السحور

نقل الأديب

بدرناز بحر إسحاق النسابي

١٣ - في النيل

في (حلبة الكميت) : ركب الأمير تميم في النيل متنزها
فرّ بعض الطافات المشرقة فسمع جارية تنشد شعراً :
نهتُ ندماني بدجلة موهناً والنجم في أفق السماء معاق (١)
والبدر يضحك وجهه في وجهها

والماء يرقص حولها ويصفق
فاستحسنهما تميم وشرب عليهما ، وما زال يستعيدهما
ويشرب حتى انصرف وهو لا يعقل سكرًا . فلما أصبح قابلها
بهذين البيتين :

شربنا على النيل لما بدا بموج يزيد ولا ينقص
كانت تكاثف أمواجه معاطف جارية ترقص

١٤ - شهادة ...

كان أبو عيسى بن الرشيد يقول لعمه إبراهيم بن المهدي :
السكر على صوتك شهادة (٢) ياعم ...

١٥ - أنظروا إليّ

في (محاضرات الراغب) : قال أبو نؤاس : كنت يوماً
في الحمام فقلت قصيدة وفيها :

تمشيت في مفاصلهم كتمشي النار في الفَحَم (٣)
ولم يكن معي أحد فترامى لي شبح فقال : قطع الله لسانك
فإنك لا تغلح ! أتقول مثل ما يقول العوام ؟ ألا قلت :

تمشيت في مفاصلهم كتمشي البر في السقم
فقلت : هكذا قلت

فقال : أنكابر إبليس ؟

١٦ - أم حسن الجواب

قال أبو العيّن : قال لي الخليفة المتتصر يوماً : ما أحسن
الجواب ؟

(١) موهناً : نصف الليل (دجلة) بالفتح والكسر.

(٢) للشهادة اسم من التهديد : المقتول في سبيل الله

(٣) الفحيم يفتح الحاء وتكتبها

فقلت : ما أسكت المبطل ، وخير المحق
فقلت : أحسنت والله !

١٧ - بالله أو رحمت غربتها

في (التيمة) : حكى أبو الخطاب بن عوف الحريري
النحوي الشاعر أنه دخل على أبي العباس النامي قال : فوجدته
جالساً ورأسه كالثغامة (١) يائساً ، وفيه شعرة واحدة سوداء ،
فقلت له : ياسيدي ، في رأسك شعرة سوداء
فقال : نعم ، هذه بقية شبابي وأنا أفرح بها ، ولي فيها
شعر . فقلت : أنشدني ، فأنشدني :

رأيت في الرأس شعرة بقيت سوداء تهوى العيون رؤيتها
فقلت للبيض إذ تروّعها بالله إلا رحمت غربتها !
قل لبث البياض في وطن تكون فيه البيضاء ضرتها
ثم قال : يا أبا الخطاب ، يضاء واحدة تروّع ألف سوداء ،
فكيف حال سوداء بين ألف يضاء ؟

١٨ - المقادير تصير العبي خطياً

قال الطبري في تاريخه :
يحكي أن الحجاج ذكر عنده رجل بالجهل فاراد اختباره
فقال : أعظامي أم عصامي ؟ أراد أشرفت بأبائك الذين صاروا
عظاماً أم بنفسك

فقال الرجل : أنا عصامي عظامي ، فقال الحجاج : هذا
أفضل الناس ، فقضى حوائجه . ومكث عنده ثم قتله فوجده
أجهل الناس . فقال له : تصدقتي كيف أجبت بما أجبتني به
حين سألتك عما سألتك ؟

فقال : لم أعلم أعصاني خير أم عظامي ، فخشيت أن أقول
أحدهما ، فقلت كليهما ، فإن أضرتني أحدهما نفعني الآخر
فقال الحجاج عند ذلك : المقادير تصير العبي خطياً

١٩ - أوانت صارت سياسة

في تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لجلال بن المحسن الصابي
قال أبو الحسن بن الفرات : أصل أمور السلطان مخزقة فإذا
تمت واستحكمت صارت سياسة

(١) الثغامة واحدة الثلم وهو ثوب الزهر والنهر ينبه به الدبيب

بتنا على حال يسر الهوى وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له : إن غبت عنا دخل الصبح

٢٤ - صدق الأمير

في شرح (النهج) لابن أبي الحديد :

ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجاني في مسألة كلامية ،
فجعل النوشجاني يخضع في الكلام ويستخذي له ، فقال :
يا محمد ، أراك تنقاد إلى ما أقوله قبل وجوب الحجة لي عليك
وقد سامني ذلك منك ، ولوشئت أن أفسر الأمور بعزوة الخلافة
وهيبة الرياسة (١) لصدقت وإن كنت كاذباً ، وعدلت وإن
كنت جائراً ، وصوبت وإن كنت مخطئاً ؛ ولكني لا أقنع
إلا بأقامة الحجة ، وإزالة الشبهة ؛ وإن أنقص الملوك عقلاً
وأسخفهم رأياً من رضى بقولهم : صدق الأمير . . .

٢٥ - هناك والله قرارة اللؤم

وقف اعراي فسأل قوماً فقالوا : عليك بالصارفة .

قال : هناك (والله) قرارة اللؤم

٢٦ - كبرت

في (نفح الطيب) :

قال أبو محمد بن حزم الحافظ : كنت يوماً في مجلس
الرئيس الفقيه أبي بكر بن زهر ، فدخل علينا رجل عجمي من
فضلاء خراسان ، وكان ابن زهر يكرمه ، فقلت له : ما تقول
في علماء الاندلس وكتابتهم وشعرائهم ؟

فقال : كبرت !

فلم أفهم مقصده ، واستبردت ما أتى به ؛ وفهم مني أبو بكر
ابن زهر أتى نظرتة نظر المستبرد المنكر .

فقال لي : أقرأت شعر المتنبي ؟

قلت : نعم ، وحفظت جميعه .

قال : فعلى نفسك (إذن) فلتنكر ، وخاطرك بقلة الفهم
فلتتهم ، قد كررت بقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق

فاعتذرت للخراساني وقلت له : قد (والله) كبرت (٢)

في عيني بقدر ما صغرت نفسي هندی حين لم أفهم نبل مقصده

(١) في الأساس : كبر الرجل في قدره (بنم الله) وكبر في سنه (كسر الله)

(٢) في كتب العلم والأدب : الرئاسة والرياسة وفي كتب الله : الراسة

٢٠ - بكت رجمة للورى بالرم

قال أبو الأصبع بن رشيد الأشيل لما هطلت بأشيلية سحابة
بقطر أحمر في يوم السبت الثالث عشر من صفر عام (٥٦٤) :

لقد آن للناس أن يقلعوا ويمشوا على السنن الأقوم

متى عهد الغيث (يا غافلا) تكون العقيق أو العندم (١)

أظن الغنائم في جوها بكت (رجمة للورى) بالدم

٢١ - اقرأ قرآنك

قال الشاطبي في (الاعتصام) :

كان في الزمن القريب رجل يقال له الفزاري ادعى النبوة
واستظهر عليها بأمور موهمة للكرامات والأخبار بالمغيبات ،
ومخيلة لخوارق العادات ، تبعه على ذلك من العوام جملة . وكان
مقتل هذا المفتري على يد أبي جعفر بن الزبير .

قال الحسن بن الجباب : لما أمر بالتأهب يوم قتله ، وهو

في السجن الذي أخرج منه ، جهر بتلاوة سورة (يس) فقال

له أحد الدعار (٢) من جمع السجن بينهما : اقرأ قرآنك ، لأى

شيء تفضل على قرآننا اليوم ؟ فتركا مثلاً بلوذعيته ،

٢٢ - تعالوا نشكركم اليوم

قال أبو الحسن القروي يوماً لندمائه : تعالوا نشكركم اليوم

فقالوا : وأى يوم لا يتكرم فيه سيدنا ؟

قال : قولى (تكرم) (٣) من (الكرم) لامن الكرم

قالوا : وكيف ؟

قال : ناكل سكباجة (٤) وحصرية ، وحلوى دبسية ، ونشرب

العنى ، وتنقل بالزبيب ، لنكون قد استوفينا مرافق الكرم ومنافعه

قال بعضهم : ينبغي أن نستوقد بقضبانه أيضاً لئيم التكرم .

فقال : أحسنت وجودت ، وأمر بذلك كله وطاب يومهم

٢٣ - ان غبت عنا دخل الصبح

قال القاضي الفاضل :

(١) العندم : دم الاخوين : شجر احمر ، وقيل صنغ احمر

(٢) الداعر : العبر ، قاطع الطريق ، الفاسق

(٣) اشتق التكرم من الكرم وروى الثعالبي اللفظة في كتبه . والتكرم في

لغة (الجزيرة) : النزه عن الشيء ، وتكليف الكرم

(٤) السكباجة : حب من (مركبة باجة) وهو لحم يطبخ بخل . ويقال : سكباجة

الرجل إذا أعد سكباجا (التاج)

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

— ١ —

هل الفلسفة الاغريقية وليدة الفلسفة الشرقية ؟

تمهيد

تشغل الباحثين منذ أقدم عصور التاريخ مشكلة لم يهتدوا إلى حلها حتى اليوم حلا حاسما يقف تيار الاعتراضات من الجهات المعارضة، وإن كانت بحوث المستشرقين والمستعمرين في العصر الحديث قد وصلت إلى ترجيح إحدى كفتي الميزان في هذه الفكرة العويصة التي يترتب عليها تغيير اتجاه الحكم على اليونان وعلى الشعوب الشرقية القديمة إلى ناحية غير التي كان يسير فيها قبل ظهور نتائج هذه البحوث. تلك المشكلة هي: هل الفلسفة اليونانية ابتدعت في يونان وليس لها أية صلة بالشعوب الشرقية؟ أو هي تراث نضجته الاغريق؟ وإذا كانت الأولى، فهل يرجع مبدؤها إلى القرن السادس فقط كما زعم أرسطو، حين قرر أن «تاليس» هو أول الفلاسفة جميعا؟ أو يمكن إصعاد الفلسفة إلى عصور غابرة إغريقية محضة؟ وإذا كانت الثانية، فما هو أول تلك الشعوب الشرقية الذي نشأت الفلسفة بين ربوعه؟

قرر أرسطو أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى في تاريخ العقلية البشرية في تلك المستعمرة اليونانية التي تدعى «أيونيا» والتي سبق أن أسسها قوم من الاغريق القدماء الذين هاجروا في عصور ما قبل التاريخ إلى آسيا الصغرى وأسسوا بها تلك المدن التي لم يلبث الاغريق الاصيلون أن احتلوها وبسطوا عليها سلطانهم السياسي والأدبي، فافسحوا بذلك الطريق أمام العقل الاغريقي الجبار، وحلوا عقاله الذي كان قد أمسكه في آسيا عن الصولان في عصور ما قبل الاستعمار الجديد. وأول من بدأت العقلية الاغريقية القديمة تتمثل فيه هو: «تاليس»

٤٢

المليتي، أول فيلسوف في الدنيا. وإذا، فالفلسفة إغريقية الأصل والعنصر، وهي لاتصعد في رأى أرسطو إلى ماوراء القرن السادس قبل المسيح، ولكن «ديوجين لايرس» المؤرخ الاغريقي الشهير الذي عاش في القرن الثالث قبل المسيح يحدثنا في كتابه «حياة الفلاسفة»، عن فلسفة المصريين والفرس في العصور الغابرة حديثا تمتعا يدل دلالة قاطعة على أن الشرق قد سبق الغرب إلى الفلسفة بزمن بعيد. وأنه كان أستاذه في كل ماوراء الطبيعة كما كان أستاذه في العلوم الطبيعية والرياضية بأنواعها، وأن الغرب جلس في الازمان المظلمة مجلس التليذ المستلهم من الشرق العالم المستنير.

فأنت ترى تعارض هاتين الفكرتين وتصادمهما منذ أكثر من ثلاثة وعشرين قرنا، وترى كذلك أن لكل منهما أسياعا ومؤيدين، ففريق يسلك منهج أرسطو فيؤكد أنه ليس للشرقيين فضل في هذه الثروة العقلية العظيمة إلا ما ظير لفلاسفتهم بعد الاسلام من مجهودات في شرح الفلسفة اليونانية وتوجيهها؛ أما في العصور الاثرية فلم يعرف التاريخ عنهم إلا الدين المقيد بالوحى ولم يحفظ لنا عنهم مجهودات شخصية تشرف العقلية البشرية، بل إنهم نسبوا كل شيء عندهم إلى السماء، حتى تلك المتناثرات الاخلاقية المنزعة من الفضائل العملية والمصوغة في حكم مقتضبة، ويتخذون دليلا على هذا ما تزدهم به كتب التاريخ من إزهار الدين وإجذاب الفلسفة في الشرق كل هذا الوقت الطويل الذي تلا العصور الاثرية، ويقولون: إنه لو كان للشرق فلسفة لشملها ناموس التقدم ولشاهد العالم تطوراتها المختلفة كما حدث في بلاد الاغريق. ومن أشهر أصحاب هذا الرأى في العصور الاخيرة «بار تلى سانت - هليز»، إذ يقول في مقدمة ترجمته «للكون والفساد، مانصه: «أما من جهة الفلسفة الشرقية فانتا لانعرف، بل ربما لن نعرف أبدا من أمرها شيئا معينا بالضبط فيما يختص بعصورها الرئيسية وانقلاباتها، فان أزمته وأمكتها وأهلها تكاد تعزب عنا على سواء. إنها مستعصمة دون إدراكنا مدعاة للشكوك لما يغشاها من كثيف الظلمات، حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافي لما أفادنا ذلك إلا من جهة إرضاء رغبتنا في الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها

قد افازت باسمها ولم تكن الأرض هي الأخرى قد سمت بهذا الاسم كان أبوهما : دأبسو ، وأمهما : تياما ، وهما : الماء ، أو جوهر كل شيء متمزجين امتزاجاً تاماً قصد التناسل والإخصاب ، (١) .

فإذا لاحظنا أن الانشودة العراقية كانت قبل ، تاليس ، بعهد بعيد ، وأن سيادتها في القرن السادس قبل المسيح كانت على أتم ما تكون قوة وتغلغلا في النفوس ، ولأحظنا الصلات التجارية والاجتماعية في ذلك العصر بين العراق وأيونيا استطعنا أن نرجح في سهولة كفة تأثير تاليس بتلك الانشودة العراقية القديمة ، بل استطعنا أن نجزم بأن من المستحيل أن يكون تاليس قد ابتدع نظريته في أصل الكون .

٢ — إن العلماء المشتغلين بالبحث في الإنسان وخواصه والفروق الموجودة بين طوائفه المختلفة قد قرروا أنهم التقوا أثناء بحوثهم بأدلة قاطعة على أن بعض النظريات الاغريقية لا يمكن أن تكون من أصل إغريقي ، لأنها توفرت فيها جميع شرائط العقلية الشرقية وخواصها .

٣ — إن الباحثين الأثريين قد عثروا على كلمات : العدالة والفضيلة والنفس والحياة الأخرى في الشرق قبل مبدأ تاريخ وجودها في الغرب بقرون لا يعرف مداها ، بل إنهم قد تأكدوا من أن الغرب لم ينطق بهذه الكلمات إلا بعد اختلاطه بالشرق .

٤ — إن علماء الرياضة قد فرغوا من تقرير أنه من غير الممكن أن تبنى الأهرام في بلد لم تقطع فيه الهندسة العلمية أسواطاً بعيدة .

وفي هذا رد بليغ على الذين يزعمون أن مصر لم يكن فيها هندسة علمية ، وإنما كان فيها هندسة عملية فحسب (٢) .

٥ — هناك أدلة أخرى لم تصل من القوة العلمية إلى ما وصلت إليه الأدلة السابقة ، وإن كان أنصار هذا الرأي يستأنسون بها مثل رحلة تاليس إلى مصر والشرق الأقصى ، ومثل وجود العناصر الأولى من منطق أرسطو في المدارس الهندية السابقة

كثيراً . إن الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتنا مع التسليم بأنها تقدمتها في الهند وفي الصين وفي فارس وفي مصر فأننا لم نستعز منها كثيراً ولا قليلاً . فليس علينا أن نصعد إليها ، لنعرف من نحن ومن أين جئنا (٣) .

ولقد تصديت فوق ذلك لتبيين أن العبقرية الاغريقية هي التي دانت العالم بهذا النفع العلمي الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها ، فإذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئاً من العلم فما هو إلا مدد مبهم غاية في الإبهام . لا مراء في أن المصريين والكلدان والهنود لهم في ماضي الإنسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك في الفلسفة أو في العلم بعبارة أعم ليسوا شيئاً مذكوراً في جانب الاغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم (٤) .

وقال أيضاً : « وإن العلم على جميع صورته كان معدوماً في الشرق فاخترعه الاغريق ونقلوه إلينا ، (٥) » .

ولهذا الرأي مقلدون (٦) في مصر كما هي الحال في كل فكرة تطعن على الشرق .

وفريق آخر يذهب إلى ما نقله د لارس ، من أن الفلسفة الاغريقية ليست إلا تراثاً شرقياً متغلغلا في القدم ويستندون في هذا إلى براهمين أهمها ما يأتي :

١ — إن جهود المستشرقين قد وضعت أمام أنظارنا مدنيات شرقية ضاربة في التقدم بسهم نفاذ كمدنيتي مصر والعراق مثلاً ، وأنبأتنا بأن هذه المدنيات سابقة على مدينة الاغريق بعدة قرون ، وأثبتت لنا علائق متينة بين بعض ما تحتويه هذه المدنيات وبين الفلسفة الاغريقية مثل علاقة نظرية د تاليس ، الشهيرة القائلة بأن أصل الكون هو الماء بالانشودة خلق الكون الدينية العراقية التي تصرح بأن كل شيء في الكون منشؤه الماء إذ تقول في مطلعها ما ترجمته : « حين لم تكن السماء العليا بعد

(١) راجع مقدمة كتاب الكون والفساد لارسطو ترجمة الاستاذ اخذ الحظ السيد باشا صفحة ٢

(٢) انظر صفحة ١٠٤ من مقدمة كتاب الكون والفساد لارسطو

(٣) انظر صفحة ١٠٦ من هذه المقدمة

(٤) انظر قادة الفكر للدكتور طه حسين بك

(١) انظر صفحة ٣ من مقدمة الجزء الأول من كتاب د برييه .

(٢) انظر قادة الفكر للدكتور طه

(د) « أصول الديانة الاسرائيلية » : « الجيوفية القديمة »
تأليف د. س. كوسان ، ظهر في ١٩٣١
(هـ) « تاريخ الفلسفة الصينية » تأليف « زانكير » ، ظهر
في سنة ١٩٣٣

على أن هاتين العقبين المتقدمتين لا تمنعنا من أن نعتبر
دراسة الفلسفة الشرقية هي أول ما يجب على المشتغل بدراسة
الفلسفة الاعتناء به ، أما امتزاج الفلسفة بالدين الذي كان من
عوامل حروجه دارس موقف الفلسفة الشرقية فسنجهد في
حله بأن نعين مهمة كل من هذين الممتزجين اللذين عقد
امتزاجهما الموقف وجعله من المشاكل العويصة

ولكن قبل أن نعالج هذا الموضوع ينبغي لنا أن نشير إلى
أن تلك العقبة الأولى الناشئة عن امتزاج الفلسفة الشرقية بالدين
ليس مسلماً بها من جميع العلماء والباحثين المحدثين ، إذ يصرح
بعضهم بأن هذا الامتزاج ليس خاصاً بالشرقيين في العصور
القديمة ، وإنما هو طبيعة إنسانية عامة كما وجدت في مصر
والعراق في الأزمان الغابرة ، كما وجدت كذلك في أوروبا في
القرون الوسطى . وليس القديس « أوجستان » ، والقديس
« توماس » ، والقديس « أنسلم » — وهم مشاهير فلاسفة
المسيحيين في أوروبا — إلا مظاهر لهذه الفترة البشرية التي
نشأت على مزج الدين بالفلسفة ، بل إن « ديكارت » ،
و « اسبنوزا » ، و « كانت » ، أنفسهم — وهم اعلام فلاسفة
العصر الحديث — ليسوا إلا مظهر آخر من مظاهر هذا
الانعطاف الطبيعي . وإذا ، فرمى الشرق القديم وحده بهذه
النقيصة — إن صح أنها نقيصة — ضرب من العنت والجور
اللذين يجب أن يتزه عنهما الباحث المحاييد

وسواء أصح الرأي الأول أم الثاني ، فإننا سنحاول هنا
أن ندرس الفلسفة الشرقية الممتزجة بديانات الشعوب التي
ظهرت فيها ، عاملين — كما قدمنا — على تمييز الفلسفة من
العقيدة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

وسنبداً دراستنا بأقدم هذه الديانات الوثنية عهداً ، وهي
الديانة المصرية التي لم يعرف التاريخ أعرق منها في أغوار
الماضي البعيد .

الدكتور محمد قطب

(بنج)

لعصره ، ومثل وجود الكلام عن الجوهر الفرد في المدارس
الهندية كذلك أو وجود فكرة التناسخ عند المصريين والهنود
وغير ذلك من يسند هذا الرأي الأخير ويقويه .

إذا عرفنا كل هذا وتبيننا أن هذه الفلسفة اليونانية العظيمة
إنما هي وليدة الاساطير الشرقية ، فقد وجب على كل باحث
في الفلسفة أن يبدأ بحوثة بفلسفة هذه الشعوب الشرقية ،
ليكون على بينة من العناصر الأساسية التي تكون منها الجسم
المراد درسه

غير أن هناك عقبات ومصاعب اعترضت ولا تزال
تعترض سبيل دارس الفلسفة الشرقية وتفقههم موقف الحروجه
والعصر مثل :

١ — ما يزعجه بعض المتحاملين من المحدثين من أن فكرة
بدء الخلق في الشرق تستمد عناصرها من الدين أكثر مما
تستمد من الفلسفة ؛ وإن شئت فقل : إن الدين والفلسفة
في الشرق شيء واحد ، ولهذا لم يعرف للتاريخ نظرية فلسفية
ظهرت في الشرق القديم مستقلة عن الدين ، وإنما مهد
النظريات الحرة البعيدة عن كل التأثيرات الدينية من غير استثناء
هو بلاد الإغريق . وهذا هو الباعث الأول الذي قلل من
أهمية دراسة الفلسفة الشرقية في نظر علماء العصور الحديثة
وحط من قيمتها عندهم

٢ — إن المصادر التي وصلت إلينا عن فلسفة تلك الشعوب
الشرقية قليلة لا تكفي لإشباع الرغبة العلمية عند الدارس
المتقصى الذي لا يرضى من المشكلة بأقل من الاحاطة بجميع
نواحيها ، وإن كانت هذه الندرة في المراجع لم تحمل بين الباحثين
المحدثين وبين معالجة هذه الفلسفة الشرقية ووضع المؤلفات
الضخمة عنها مثل كتب :

(أ) « هيكل تاريخ الفلسفة الهندية » ، تأليف « ماسون
أورسيل » ، وقد ظهر في سنة ١٩٢٣

(ب) « تاريخ فكرة وحدة الوجود الهندية » ، تأليف
« أولترا مار » ، ظهر في سنة ١٩٢٣

(ج) « تاريخ الديانات » ، تأليف « دينيس سورا » ، ظهر
في سنة ١٩٢٤

هتاف الشيطان

للأستاذ عبد المغنى على حسين

كنا في حجرة استقبال، بدار انجليزية، بإحدى مدائن إنجلترا، والفصل شتاء، والوقت ليل؛ فالستائر مسدلة، ونار الفحم موقدة، ونحن في غمرة من الدفء الشهى، ذلك الموج الحفى، فى اللجى الأثيرى. وكانت الطبيعة فى تلك الليلة غضبي والريح تهب من جميع الجهات إلى جميع الجهات، يحن جنونها فتنب على الشجر المنحف العارى تعركه عركا وتكاد تمزقه وتشظيه، لولا تلويه، فتختلط زجراتها بعويل الشجر. كانت الريح فى الفينة بعد الفينة تهوى علينا من المدخنة، كأنما تبحث عنا جاهدة، فإذا استعصت عليها الأبواب والنوافذ لم تخرج أن تأتى البيوت من سقوفها، فتتقض علينا تنفث فى وجوهنا السناج والدخان. ثم ترد من المدخنة لتكر على زجاج النوافذ تحصبه برشاش المطر.

كنا فى الحجرة اثنين. أما الثانى فسيده انجليزية شقراء أرملة فى نحو الخمسين، تنحنى على النار فتجلى فيها العود، وتعدل فتضع ساقاً على ساق، وتنظر إلى اللظى بعينين رماديتين حالمتين حزيفتين. هى (صاحبة البيت) كما كنا نسميها. كنا نسمر سمرأ متراخياً أكثره سكوت، إذ كان الحس موزعاً ما بين تخدير الدفء وتخويف الطبيعة. إلى أن حدث أمر أيقظ منا الحس، وأهاج النفس، فإذا هياج الطبيعة من هياج النفس كخطر النسيم من لفتح الجحيم.

ذلك أنه كان على إحدى حوائط الحجرة لوحة فيها رسم قى وفئة كلاهما فى نحو العشرين أو دونها، أما القى فكان صغير الجرم. فى وجهه إشراف الذكاء. وفى هيئته جد وحيوية؛ يسم للنيا — الدنيا المخاتلة — وأما الفتاة فكانت ناهداً هيفاء بسمتها الحلوة خليقة أن تمحور مرارة الدهر، وتطرد الحزن من أقطار الوجود. شعرها مكور على رأسها على النفط الفكتورى؛ ثوبها طويل محكم يبدى من سحرها النسوى ما لا أظن العرى يديه؛ وقفها فيها ميل من الدل والطراوة، وعيناها رماديتان حالمتان

كان فى الفتاة من سيده الدار شبه، ولكنه ضئيل جداً. لاحت منى التفاتة إلى تلك الصورة، فقلت أسائل السيده عنها وأجعلها موضوع حديث. فما إن فعلت حتى رأيتها وجمت وجوما انقبض له صدرى. قالت: «ألا تعرف من تكون الفتاة؟ قلت «من؟» قالت «أنا». فلم أقل شيئاً، ولكنى عجبت من فعل السنين، لأن كانت تلك هى هذه فإن الزمن لم يترك منها إلا بقدر ما ترك فى جسم أبى الهول من شكل الأسد. لابد وأن تكون أحوال ألف عام قد حشدت فى عمر هذه السيده حتى صارت بما كانت إلى ما هى الآن.

قلت فن القى الوسيم؟ قالت «زوجى»، واغرورت عيناها الحالمتان، ومن الغريب أن الدموع لم توقظهما من أحلامهما. حسبت أتى ألتها بذكرى هناء ذاهب. وجيب غير أيب، فقلت متعراً متعذراً: «أخشى أن أكون آدميت جرحاً على كان اندمل». فقالت «لا إخال مثل جرحى يندمل». وتلا ذلك سكوت وجدته خيراً من الكلام، ووددت لو أن كلاماً لم يكن ثم رأيت السيده تنظر إلى نظرة فيها حنان الأم، وإذا بها تقول: «أوصيك يا بنى ألا تذوق الحزن أبداً، فإن كنت شربتها فلا تقربها بعد اليوم». فدهشت لهذا الكلام المفاجي. وعجبت له. قلت «ما هذا الذى تقولين؟» قالت «لقد كانت حياتى مأساة يؤلمنى أن أقصها فأحيها من جديد، ولكنها عبرة نافعة لمن هو فى سنك، فسأقصها عليك.

كان زوجى فى أول عهدنا قى جم المحاسن، شديد الحب لى وللاطفال. يهوى العش الذى بنينا، وكان فى عمله مثال النشاط، جم الكفايات. وشاء الجد العائر أن ينقل إلى وظيفة (بالمجارك)، فكانت مهمته تقدير المكوس على الحمر التى ترد من الخارج، ومرت الأيام فإذا فى أشم ريح الحمر من قم زوجى، فأبديت له مخاوى، فطمأنتى قائلاً أنه يسترشد فى عمله أحياناً بتذوق عينات الحمر، وأنه إنما يفعل ذلك بحذر وما يتناول له لا يذكر. ومرت الأيام فإذا به يعود إلى يترخ من الشراب ثم لم يعد المحب العطوف البسام، بل صار غضوبا إذا كثته رفع صوته بالجواب الخشن. ثم ازداد فكان لا يفرغ هراؤه ما دمت بمراى منه. ثم استعظم فصار يضربنى ويضرب

مفلتاً من أيدينا بجوهرته تلك، فهي خليفة أن تسمو به إلى حيث النور، ولا يبقى في الظلام خائباً منبوذاً إلا نحن. فونب عليه الشيطان وثبة فرأى أماتها فأخطأته، ثم عاد الشيطان إلى مقعده والشرر يتطاير من عينه، وإذا بجنى يهبط عليهم من فوهة البركان وهو يصيح: «أحطت بما لم تحيطوا به، وجئكم نبأ عظيم، فصاح به الشيطان: «والله لقد كنت أنتظر كأيها الملعون لأقطع أوصالك بعد هذا الغياب الطويل. قل فلعل عندك ما يشفع لك، فشرع الجنى يقول:

«بصرت بقيل من تلك المخلوقات البغيضة يعيشون في كهوف هذه الجبال، فتخيرت واحداً منهم قوى الجسم مغروراً، فصرت أزين له الفتك بأقرانه، وفي ذات يوم رأيت امرأته تدق الحب بالحجر لتطحنه، ثم وضعت الطحن في حفرة بالصخر وذهبت لبعض شأنها، فزيت لأولادها الغيث، فحملوا الماء وكفأوه على الطحن، ثم أنسيت المرأة طحنها يومين ليفسد، فتصاعد منه ريح خائق. وفي اليوم الثالث حضر الرجل من الصيد ظمناً يلهث، ونادى على المرأة لتسقيه ولم تكن المرأة بالكهف، فثار نازره، وبحث عن ماء فلم يجد فاتهرت القرصة وأرشدته إلى حفرة الماء والطحن ليشرب بما بها فيتسم فيموت، فلما بلغ الحفرة نظر فيها وعاف راحتها فزيت له الشرب منها، وكان ظمؤه بالغاً، فشرب قليلاً وسكت ثم عاد يشرب حتى امتلأ، وأنا أكاد أطيرو من الفرح، ثم رأيته يقوم مترنحاً يضحك ملء شديقه، فعبجت، وإذا به يسير بين الكهوف يجرى وراء النساء كالجنون فيهربن منه مذعورات، ثم لقي امرأته فهجم عليها كالوحش وقتلها شر قتلة. ثم أخذ يقتل كل من صادفه من الرجال ويعتدى على النساء. ذلك الذي حسبته سيموت قد ازداد قوة وجراً، وأخيراً ارتقى فنام، ثم صبحا بعد ساعات فرجع إليه صوابه كما كان، فعلبت أن ذلك الشراب يفقد الرجل عقله إلى حين.

عاد الرجل إلى كهفه، فلما رأى الخاية مال عليها يكرع وأعاد سيرة الأمن، وتحدث أهل القيل بهذا الأمر العجيب لجاء الرجال وكرعوا من الخاية، وجنوا مثل صاحبهم، وقد تركتهم ولا عمل لهم إلا صنع ذلك الشراب واللعب منه، وتهتك النساء، وتقتل الرجال ولا أحسب قبيلهم بعد قليل

الأطفال. كل ذلك وأنا حافظه عهده، أكنتم ما أنافه عن الناس ثم حدث ما لم يكن منه بد، ففصل من عمله لقلة كفايته وسوء خلقه، واستعجب عيشنا، فأكلنا ما ادخرنا في العبود السمينه ويعلم الله أننا ما كنا ناكل بمحشار ما كان ينفق في الشراب. ثم ساءت صحته، وألح عليه السعال، فكان يسعل الليل بطوله وأنا معه يقضي حتى الصباح. وذات صباح انتبهت من غفوة فلم أجده في فراشه، فحسبت أنه بدورة المياه، ثم شعمت رائحة غاز الاستصباح، تخفت أن يكون صنوره بالمطبخ بات مفتوحاً فذهبت إلى هناك، فوجدت باب المطبخ مغلقاً، فعالجته حتى انفتح، وتراجعت إلى الوراء خشية الغاز السام، ثم نظرت أمامي فرأيت... ويالهول ما رأيت... وغطت وجهها بكلتا راحتيها وزلزل صدرها بنهضة خفت أن تحطمه. قالت: «رأيت ممدداً في أرض المطبخ وقد استنشق من الغاز القاتل حتى قضى الأمر».

ثم كفكفت عبراتها، وهذا صدرها، وجلسنا واجمين صامتين، كأنما الميت ممدداً أمامنا ونحن لجلال الموت في خشوع. أردت أن أقول شيئاً أنفـس به عنها فلم أجـد ما أقول، وماذا يقال في رجل قتل عقله بالشراب، وقتل نفسه بالغاز، عمد إلى أنفـس ما أعطاه الله، وإلى أقـدس ما أعطاه الله فدمرهما، ومرغ معه في رغام التعاسة سيدة فاضله وأطفالا ييض الصحائف.

وحان وقت انصراف السيدة، فجلست وحدى، أنظر إلى نار الفحم، وإنها لا برد من نار الصدور، وذهب بي الخيال مذاهب عجيبة، حتى لقد خلت أنى أرى الشيطان نحيف الوجه مستطيله محروق الجلد طويل الأصابع أحمر العينين، في مجلس من أعوانه، في جوف بركان خامد، أول ظهور الإنسان على الأرض، قرض الشيطان بآنيابه المعوجة وقال: «ماذا ترون في الدمية التي صنع الله؟» مشيراً بإيهاه إلى أعلى حيث سطح الأرض. قال أحد الأعوان: «إن في رأس تلك الدمية، جوهره تغشى بصرى، لو اعتنى بها ذلك المخلوق، وتبع ضيائها يبصره، كاد أن يرى الله جهرة!». فازداد قرض الشيطان بآنيابه وصاح: «أريد جديداً أيها الآله، فسكت الجميع زمناً ثم عاد الذي تكلم فقال: «والله ما أحسب ذلك المخلوق إلا

على الطرول الماضي

ساعة في ... «سر من رأى»

د في السنة الآتية يكون قد مر على انشاء
سر من رأى ألف ومائة سنة ع .

... الآن رجعت من التاريخ. إلى أرى الدنيا صغيرة خاية
لأنى كنت في دنيا أكبر منها وأحفل بالنور والمطر: كنت في
«سر من رأى»

جلست أدون رحلتى إلى الحلة «دمشق العراق» ووقوفى على
أنقاض بابل «أخت الدهر» وزيارتى السدة الهندية «القناطر
الخيرية الثانية» وما أولانى الحليون من ألوان المثلن وأنواع
الكريم ... فلم أكدمضى في المقالة حتى عرضت لى رحلة جديدة
إلى «سر من رأى» ... ومنذا الذى لا تفتته سر من رأى ولا تهيج
بلايل أشواقه؟ ومنذا الذى نظر فى كتب التاريخ أو شدا بئى من
الادب ثم لا يعرفها ولا يحس أن لها صلة بنفسه؟

رددوا هذا الاسم أجبل عشرمرات بصوت خافت كأنه مناجاة
النفس، بطل. كأنه هجس الضمير، وأتم تنظرون بعيونكم إلى
بعيد، تحدقون فى غير شئ، فعل من يتذكر أمراً، ثم انظروا
كم يثير فى نفوسكم من ذكر وحوادث، وفكر وعواطف، أقل

إلا صائر أثراً بعد عين،

فما إن سمع الشيطان هذا الحديث حتى وثب على المتكلم
ولكن ليعانقه ويقلبه. وتصايح الجمع صيحات الفرح، وأخذوا
يرقصون وبقفزون. ثم رفع الشيطان يده فسكتوا. فقال: «أيتها
الاخوان! لقد تجدوا أملككم بذلك الشراب العجيب فانظروا إلى
سطح الأرض. وانتشروا فى المشارق والمغارب، وعلو العدو
الأبله صنع الشراب، وزينوا له شربه، فسيرج الغنى به،
ويذيب منه جوهرته اللعينة، فإذا شربه صار لعبة فى أيدينا،
وإذا أفاق اشتاق إليه فلا نزال به حتى نهلك منه الروح والجسد
جميعاً، قولوا مى أيتها الاخوان: لنحى الخمر.

فندققوا وهم يرددون هذا الهتاف، ولا يزال هذا هتافهم
إلى اليوم.

عبد الملقى على حسين

ما توصف به، أنها لا توصف، وكيف تحتويها كلمات وهى عالم؟
وكيف تنظمها لغة الأرض وهى من لغة السماء؟ ومتى كانت
الانسان ناطقاً مينا؟ إن هذه اللغة رموز ضئيلة، لكائنات عظيمة؛
إن العواطف مثات ومثات وما ثم إلا كلمة واحدة ... وكذلك
الجمال والحب والطبيعة ... لا. إن الانسان لا يزال طفلاً لم يتعلم
النطق ولم يحسن البيان!

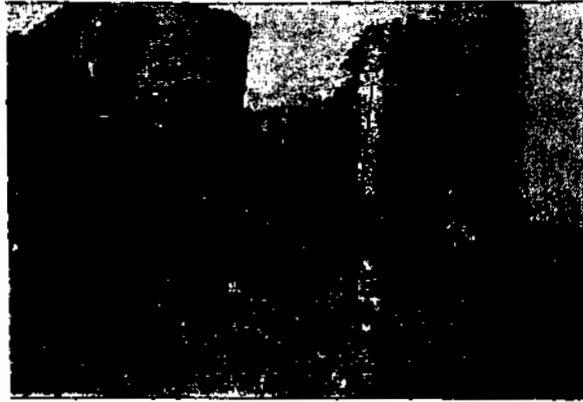
سر من رأى، وما سر من رأى؟ هى التى نهضت لبغداد لما
كانت بغداد عاصمة الأرض. ولما بلغت غاية المجد وأبعد الأمان،
وبذت كل مدينة، وكان فيها مليونان من السكان، وكان فيها العلم
والفن والسلطان ... نهضت لها تراحها وتنافسها، فلم تكن إلا
ليال حتى غطتها وبهرتها، وتربعت على دجلة من فوقها، وسلبتها
خليفتها وأبتها وجلة أبنائها، وكانت أجل منها وأعظم

سر من رأى، المدينة الملوكة، التى ولدت لجأة فإذا هى أجل
المدن، وإذا فى كل ناحية منها عرش، وفى كل بقعة منها عرش،
وإذا هى تتشع بالنور وتتضخ بالعطر، وتنام على الزهر، وإذا
هى تبلغ مالم تبلغه من بعد الزهراء المدهشة، ولا فرساي ...
ثم ماتت لجأة، فإذا كل ذلك حلم سريع وبرق خاطف. لم
تس إلا نحو خمسين سنة (٨٣٨ - ٨٨٣) وماخسون سنة فى عمر
المدن، إلا خمسون دقيقة، أفرأيت الجيلة التى ولدت بأعجوبة، فإذا
هى الغادة الثقانة، ثم إذا هى تقضى بعد ساعة؟

لم تكدر تزدهر وتستقر حتى نودى فيها بالرحيل والرجوع
إلى بغداد، فهب الناس مذعورين، يحملون ماخف حمله وغلا ثمنه
وتركوا المدينة العظيمة للرياح والوحوش والصوص ...

قرأت ذلك من حديثها، ثم لم أعد أعرف عنها شيئاً، ولم أدر
ما صنع الدهر بها ... وأين من يسأل عن الآثار ويبحث عنها؟
ومن يعرف اليوم ماذا جرى بالكوفة ومسجدنها؟ والبصرة
ومربدها؟ أو يعلم صفة القادسية أو اليرموك؟ من يسأل عنها وهذا
مسجد بغداد العظيم، مسجد الجامع، قد ابتلته الدور وطلعت
عليه فلم يبق منه إلا منارته التى تقوم منحنية تكي هذا المجد العظيم
وهذا الماضي الفخم، وتنادى لو وجدت سمياً: وما كان ذنب هذا
المسجد، وما كان ذنب هذه الآثار، إلا أننا نحن وارثوها
لا الفرنسي ولا الانكليز، أولئك الذين لم يدعوا فى بلادهم
شيراً من الأرض فيه جمال من جمال الطبيعة، أو أثر من آثار
الماضى، إلا كتب عنه مؤرخوهم، ووصفه أدباؤهم، وصوره

ومن أهم ما يمتاز به المدينة شوارعها ، التي لا تكاد تحوى مثلها (اليوم) مدينة في العالم ، قد كانت كلها مستقيمة متقاطعة بانتظام عجيب ، والشارع الأعظم ، (وآثاره باقية) يمتد بـ ١٠٠ متر ، ودورها التي كان أكثرها كبيراً فيه خمسون غرفة ، وفيه مجار للباء ويرك ، ومجار أخرى للباء القذر ، وحمامات وسرايب للصيف مبنية على نظام يكفل لها حسن التهوية ، وكان أكثر الدور على طراز واحد ، فهي ذات ردهتين : ردهة حيال الباب تفضي إلى ردهة أخرى مستطيلة ، عمودية عليها والغرف من حولها



بقايا القصر المسمى بقصر العاشق

وقد سحب هرسفد رجل عسكري يدعى (لودولف) متخصص برسم المصورات ، صنع خريطة للمدينة مفصلة بنسبة جيولوجية ورجلان مختصان بالنقوش هما (بارتوس وييجر) على أن ما كشفه هرسفد لا يعد شيئاً ، والمتحف العراقي عامل على موالاة التنقيب في الآثار ، وجمعها في متحف الآثار العربية ، وينتظر ظهور أشياء هائلة

سرنا إلى (سر من رأى) في قافلة مؤلفة من كبار طلاب (دار المعلمين العالية في بغداد) والدكتور كامل بك عياد (أستاذ التاريخ الاسلامي في الدار) و . . . أنا ، فجزنا بالاعظمية ، وعبرنا النهر إلى الكاظمية ، ثم استقبلنا القضاة .

ولم نقف في الطريق إلا على جسر حربي ، وهو جسر قائم في الفلاة ذو ثلاث قناطر . عليه كتابة ظاهرة تدل على أنه بني في أواخر العهد العباسي على نهر دجيل ليسقى مدينة حربي ، قتلتنا فإذا النهر قد جف والمدينة قد محيت والعهد العباسي قد انقضى ، وإذا كل بلاد الله تتقدم وتزداد عمارة ، وبلادنا تتأخر وتمعن في الخراب فوقتنا معتبرين . ومضينا مستعبرين .

ولم نسر من بعد إلا قليلاً حتى طلعت علينا (الملوية) وهي

مصوروهم ، ونحن الذين أضعنا آثارنا الجلية ، وهدمناها بأيدينا لنبنى بأنقاضها دورنا الحفيرة !

أستمع بالمدرسة النظامية التي درس فيها حجة الاسلام الفزالي والتي كانت من أكبر جامعات القرون الوسطى ؟ أندرون ماذا بقي منها ؟ منارة مهتمة طولها أربعة أمتار ، في زقاق عرضه ثلاثة أمتار ، عند جامع مرجان في بغداد ، والمنارة مائلة قد انحنى تحت أثقال دار قد ركبها ، وربما هدمت المنارة لتقام عليها الدار ، فن يدرى ؟ وأين من يدرس الآثار ويعنى بها ؟ وهذا قصر الخضر في دمشق ، ما بقي منه إلا اسمه تحمله مصبغة ، في زقاق القباقيب . بالمعجائب الزمان ! صار مشوى التاج وعط العرش زقاق القباقيب . . . فن سأل عنه ؟ ومن وصفه ؟ ومن حفر في أبقاضه ؟ أما لو أن هذه الآثار كانت لغيرنا ، إذن لحرق هذه البقاع حرقاً ثم أخرجت كنوزها ، ثم ملأت نفوس أهلها عزة ، ثم كانت لهم أجنحة يطربون بها في معارج العلاء . . . إن تحت هذه الأرض علما ومجدا وجلالا ، ولكن ليس فوقها من يحفل العلم والمجد والجلال !

أو ليس من أعجب العجب ، يا قومي ، أن آثارنا لم يبحث عنها ولم يكشفها إلا هؤلاء الأوربيون ؟ إن في دمشق قرنتين هما معلولا وجبعدين تتكلمان السريانية منذ خلقنا ، فا فكر أحد في درس هذه اللغة ومعرفتها ، حتى جام هذا المستشرق الشاب ، رايخ النمسي من آخر الدنيا ليدرسها . . . بل هذه هي سر من رأى ، ما نقب فيها وكشفها للناس إلا هرسفد الألماني ، الذي حفر فيها سنة ١٩١١ كلها وبعض سنة ١٩١٣ بإشارة من أستاذه ساره (Sarre) وبشفقة المصرف الألماني وبعض كبار الألمان . بدأ الحفر في قصر المتوكل ثم انتقل إلى الجوسق ، وإلى القصر المعروف بقصر العاشق ، واستخرج من هذه البقعة الصغيرة كرائم الآثار ونفائس الأعلاق ، التي انتقلت إلى ألمانيا ، وبقيت لدينا نسخ معدودة من هذا الكتاب الجليل الذي أخرجه هرسفد في مجلدات كثيرة فيه صور هذه الآثار باهرة مدهشة حقاً ؛ وهو يصف في المجلد الأول نقوش الجدران وزخارفها ، ويقول انه لم تكن تخلو دار من هذه النقوش الجصية البارزة الملونة أحيانا ؛ وفي الثالث الرسوم والصور ، وأكثر هذه الصور مما وجد في حمام الجوسق ، وقد حلت هذه الصور مشكلة قصر المشي الذي كشف سنة ١٩٠٨ ، ويتحدث في جزءه عن الاواني الزجاجية والخزفية ، وقد ظهر أنه كان في سر من رأى معمل للزجاج ، ومعمل للآفشة وجدت بعض قطع ملونة من مصنوعات .



منارة سامرا (الملوية) وتبدو في الصورة الاربع طبقات
العليا وهي: بؤلفة من سبع طبقات ارتفاعها ٨٠ مترا

منارة جامع المتوكل ، عالية تبدو من بعيد كالصرح الهائل ، وقد شئت مكانها من سر من رأى ، برج ايفل من باريز ، فهي علم البلد ورمزه . ثم بلغنا دجلة فعبرنا . ودخلنا (قرية) سامراء لنستريح في مدرستها ساعة بعد مسيرة ثلاث ساعات في السيارة . ثم ولجنا حرم التاريخ ، بصحبنا معلمو المدرسة الذين أولونا من أياديهم وأرونا من كرمهم وحسن أخلاقهم ، ما نذكره لهم بالشكر ، فلولاهم ما رأينا شيئاً ، ولا عرفنا من أين ندخل أو نخرج في هذا العالم الواسع !

إلى والله . هو عالم ، هو شيء عظيم جداً .

سرنا أكثر من خمسة وعشرين كيلا ، وما قطعنا إلا نصف البلد من المسجد الجامع إلى الدور العليا ، وإن إلى الدور السفلى مثلها ، وإن هذا كله لنصف المدينة ، وعلى الضفة الأخرى مثله أنا لا أستطيع أن أتصور كيف كانت هذه البرية الواسعة التي يضل فيها البصر ، مدينة عامرة ، وكيف كان الناس يقطعونها ، وإن بين أولها وآخرها اليوم لمسيرة اثنتي عشرة ساعة على الراكب



جسر حربي

تركنا المسجد وسرنا في وجهة واحدة ، كيلا نضل في وسط هذه الاطلال ، وكان حولنا تلال من التراب ، كانت قبل ألف ومائة سنة ، دوراً عامرة ، وقصوراً ضخمة ، فجزنا بها حتى بلغنا أنقاضاً حولها سور كبير ، أخبرنا بها معلم المدرسة أنها أنقاض قصر أم عيسى ابنة الواثق ، وعلا بنا على تل عال وقال : انظروا ، فنظرت فلم أر إلا برية واسعة ، لا شيء فيها . . . فقال : امعن ، انظر ، وحقق في الأرض ، ففعلت فرأيت شيئاً أدهشني ، وخفق له قلبي ، رأيت تلالاً صغيرة منتظمة ، على شكل دوائر متقاطعة على نمط هندسي بديع ، تمتد إلى ما لا يدرك البصر آخره . . . فقلت وأنا مشدود : ويحك ما هذا ؟ قال : حديقة !

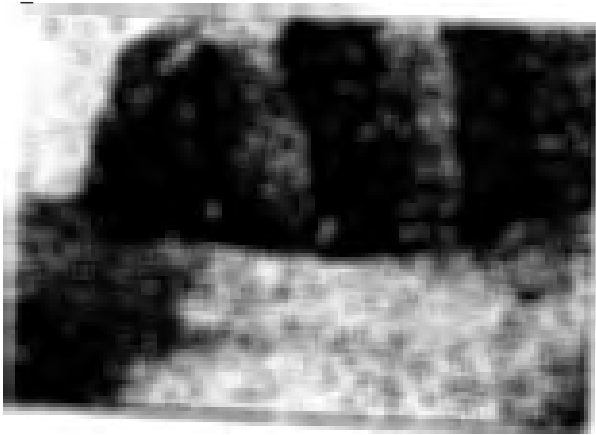
وأى حديقة هي ؟ حسبي أن أقول : إنها شيء هائل !

ومضينا . . . نمر على الأطلال . حتى بلغنا آثار سور كبير جداً كأنه سور مدينة . . . فقال دليلنا : هذا بلاط الخليفة ، فترجلنا وسرنا في طريق مبلطة باقية آثارها ، ونحن نتخيل كم مر في هذه الطرقات من خلفاء وأمرام ، وكم شهدت من جلال وجمال ، حتى بلغنا مصيف المتوكل ، وهو أول ما استقبلنا من القصور ، ونسيت أن أقول إن البلاط بلدة واسعة ، فيها عشرات القصور تبدو أنقاضها ناطقة بعظمتها ، وفيها مسجد كبير ، وفيها البركة المتوكلية المشهورة ، بركة البحري ، فولجنا المصيف ، وهو قصر كبير تحت الأرض ، به غرفة مخفورة فيها حفراً ، وهي متصلة بفضي بعضها

كان أول ما رأينا المسجد الجامع ، وهو كبير جداً لو وضعت سامراء الحاضرة فيه لوسعها وفضل عنها ، لم يبق منه إلا السور وهو مبنى من اللبن مثل سائر الأبنية العراقية ، تدعمه من ظاهره أبراج مستديرة ، ووراء السور المنارة ، وتعريف عند الناس بالملوية أى المستديرة ، وهي حلزونية الشكل سدها من ظاهرها ، مؤلفة من سبع طبقات ، ارتفاعها (٧٥) متراً ، وتحته قاعدة مربعة أقيمت حديثاً لتقويتها ، طول الضلع من أضلاعها (٤٠) متراً ، فصار ارتفاع المنارة قريباً من (٨٥) متراً وقد بنيت على غرارها منارة جامع ابن طولون في القاهرة ، ثم تركت هذه الصفة في المآذن واتخذ لها سلم من جوفها

وخرجنا من القصر ، ونحن نحس كأننا قد خرجنا من أنفسنا
وانتقلنا إلى عالم آخر ، عالم تبرز فيه الأحلام بالحقيقة ؛ عالم شعري
ساحر ... فررنا على جب واسع للباء. خبرنا دليلنا أن بعض
الجاهلين من الأدلاء والتراجم يدعون بأنه سجن ، ويختلقون حوله
الأكاذيب ... وهؤلاء الأدلاء والتراجم بلاء أزرق ، وقد سمعت
واحداً منهم يشرح لبعض الأفرنج تاريخ المسجد الأموي في
دمشق ، فقال لهم مانصه : « هذه هي المنارة التي بناها الوليد بن
هارون الرشيد لسيدنا عيسى ، ولذلك سميت منارة عيسى ، وهم
يكتبون في دفاترهم ما يقول ، فينشرونه على أنه كتاب علي عن
الشرق وأهله ، وليس العهد يبعد بتلك الكتابة الفرنسية التي كتبت
كتاباً عن دمشق قالت فيه : ويخرج أهل دمشق كل مساء للزيارة
قبرا النبي في مكة القرية من دمشق !!

أقول إننا سرنا إلى مسجد القصرة. وقد حفر فيه هرسفد
واستخرج منه آثاراً رخامية وعمرانياً جليلاً حملها إلى ألمانيا ثم
اتينا إلى البركة ، ولست أكنم القراء أني كنت أظن أن البحري
يبلغ في وصفها ، على طريقة الشعراء الخياليين وأقر ذلك في
دروسي ، وأقول ما عسى أن تبلغ هذه البركة ، حتى تظل دجلة
كالغري منها تنافسها وتباهيها ، وحتى تبدو في الليل كأن سماء ركب
فيها ، وحتى أن السمك المحصور لا يبلغ غايتها بعد ما بين قاصيها
ودانيها ؟ فلما رأيت انقاضها رأيت شيئاً عظيماً. رأيت بحراً ، رأيت
ميدان سباق ، دائرة قطرها نحو مائتي متر ، فأكبرتها وهي جافة
فكيف لو رأيتها وهي ممتلئة بالماء ، ومن حولها الغرف المفروشة
المزخرفة ، وقد عقد فيها مجلس الخليفة ، لذن لرأيت أكثر مما
قال البحري ، فرحم الله الشاعر وألهم شعراءنا تخليد ما يرون
من جمال بلادهم ، وعظمة مصانعهم ، على نحو ما خلد البحري
البركة ، والجعفرى وطاق كسرى !



قصر الخزانة (منظر جانبي)

إلى بعض ، ولها نوافذ كثيرة ، تضمن لها حسن التهوية ، وفي وسط
القصر بركة ... وقد كدنا نهلك من حرارة الشمس ونحن فوق
الأرض ، فلما هبطنا إلى جوف القصر كدنا نهلك من البرد ...



في وسط بركة المتوكل

- الخط (١) يمثل استدارة البركة وسعتها - الخط (٢) يمثل عمقها
(٣) آثار البرف التي كانت على جدرانها

وكان الصديق الأستاذ كامل بك يسرد فلسفته العلمية ويقص
علينا قصة القصر وبنائه ، وفنه وقيمه التاريخية ، ولكن واحداً منا لم
يكن يصغي أو يفهم شيئاً مما يقول ... فكف وعلم أن الكلام الآن
للقلب وعواطفه الحية ، لا للعقل ومقاييسه الجافة ، وفلسفته الباردة ...
كنا نتخيل هذا القصر ، وقد كان يعج بالحياة ، ويفيض بالحب ؛
كنا نسمع الأصوات ، ونبصر الألوان ، ونشم عبق العطر ونحس
كأننا نرى الخليفة ونشهد مجالس الأدب والغناء ، وخلوات الحب ...
كم عاش في هذا المكان من عواطف ! كم خفقت فيه من
قلوب ! كم امتلأ بالحياة ... أفيدى ذلك كله يمثل هذه السرعة
وهذه السهولة ، ويشمله العدم ولا يبقى له وجود قط ؟

أي امرئ عرف الحب ، وكابده وأدرك معناه ، ثم يؤمن
بأن العدم يقوى عليه ؟ لا . إن ذلك كله موجود ، موجود في
زاوية من زوايا هذا الكون الفسيح ، إنه خالد لا يفنى أبداً ، إن
في هذا القصر ذكريات جمة ، تحتويها هذه الجدران الخرساء ،
وهذا اللين البارد ، إن فيه صدى تلك الهمسات التي كانت تتناجى
بها الشفاه ؛ إن فيه خفقات تلك القلوب ؛ إن فيه رنات تلك القبل .
إن سؤال الديار ، واستخبار الاطلال ، أقدم فنون الشعر
العربي ، فهل ترى الشعراء كلهم مجانين ؟ أنراهم كانوا عابثين ؟

لا . إن في هذه الاطلال حياة ... إن كل شيء في الوجود
حتى بذكر وبأمل ويشعر ويحلم ، ولكنه لا ينطق ولا يفكر ...
آه ... لو أن هذه الجدران كانت تنطق ، وتحدث وتصف
ما تشمر به ...

وأين عبد الناس في كل نوبة تنوب وناهى الدهر فيهم وأمره
لقد هجر الحياة . ونأى عن النعم ، وجفاه ... حتى دجلة ... دجلة
أعرضت عن القصر ، ونأت عنه وقد كانت تسيل على أعتابه . وجفته
وكانت مع الدهر الدوار ... والزمان الغدار ، حتى دجلة التي
أفاضوا عليها المجد ، ووضعوا فيها الحياة ، وأعطوها أكثر مما
أخذوا منها ... حتى دجلة التي تجري منذ ملايين السنين ، فلم تجد
أكرم ولا أعز ولا أعظم ، من أصحاب هذا القصر وبناته ...
حتى دجلة نسيت وكانت (١) !

* * *

ثم ودعنا البلاط وسرنا - وقد أودعناه قلوبنا وصينافيه نفوسنا
ودموعنا ... سرنا في الشارع الأعظم نصف ساعة في السيارة - وقد
رأينا بيناً ، عرضه مائة متر والشوارع تتفرع عنه في نظام عجيب ،
وهندسة محكمة - والبيوت قائمة على الجانبين وقد استحالت أثرها
إلى تلال من التراب كأنها القبور ...
فررنا على معسكر أشناس ، وهو أشبه بميدان فيسيح جداً
حواله سور . حتى اتهمنا إلى المسجد المعروف اليوم بمجامع أبي دلف
وهو أكبر من مسجد المتوكل وفيه رواق قائم على خمس قناطر
ومئذ كالمقبرة ولكنها أصغر منها . فوقفنا عليه .



قسم من رواق جامع أبي دلف في سامرا

وكانت الشمس قد مالت إلى المغرب ، فانهت الرحلة هنا ،
وعدنا ونحن صامتون خاشعون ...
وقد علنا لماذا يريدون منا أن نتجرد من ماضينا .
لأننا لا نستطيع أن نبني المستقبل الفخم ، إلا على انقاض
الماضي الفخم

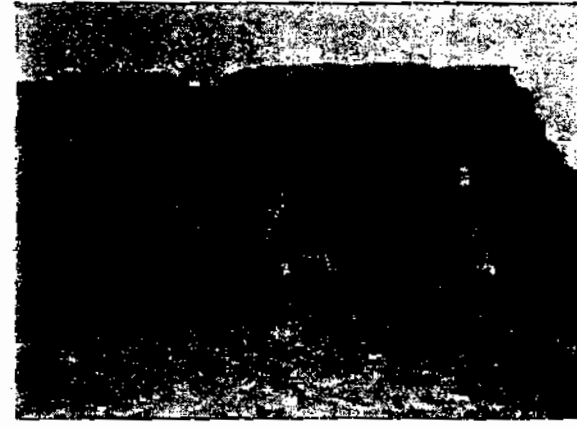
على الطنطاوي

(بغداد)

(١) وحيال القصر من الجهة الأخرى آثار قصر عظيم لم أعرف تاريخه بالضبط
ولا لمن هو - يدعى اليوم قصر العاشق وبين القصرين آثار سد هائل في دجلة
لا تزال إلى اليوم

ثم سرنا إلى قصر الخليفة الرسمى ووقفنا في إيوانه الكبير ،
وهو بنى على شكل إيوان كسرى ، ولكنه أجمل وأصغر ، وقفنا
صامتين خاشعين تتقاذفنا عواطف وذكريات لا يدري مداها ،
تتخلل هذا الإيوان وكم عقد فيه من مجالس ، وكم وقف فيه من
ملوك ، وكم كتب فيه من تاريخ ، نصر المعتصم وقد أخذ كاسه
ليشرب فأبلغوه أن امرأة مسلمة أسيرة في بلاد الروم صاحت :
وامعتصماه .

امرأة أسيرة ، وأمير المؤمنين يشرب كاسه هاتماً ؟ امرأة
تنادى : وامعتصماه ، والمعتصم لا يجب ؟ إن هذا لن يكون



بقايا قصر الخلافة في سر من رأى

وأرى المعتصم يخرج في الجيش اللجب الذي تضطرب له سر
من رأى ، وتميد لقله الأرض ، وتصق لهوله المردة ، وترتجف
الرواسي ، حتى يحط على عمورية ، فيدكها دكا ويعود مثقلاً بالمجد
والظفر والفتائم .
واسمع أبا تمام ينشد آيته الخالدة .

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو ثمر من الخطب
يا يوم رقة عمورية انصرفت منك المني حفلا معسولة الحلب
أبقيت جد بني الاسلام في صعد والمشركين ودار الشرك في حجب
ثم أنظر حولي فأرى كل شيء قد تبدل

تغير حسن (الجعفرى) وأنه وقروض بادي الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه بقاءه فعادت سواء دوره ومقابره
إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى وقد كان قل اليوم يهب زائره
(غدامو حشاقفرا) كأن لم يبق به أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كان لم تنت فيه الخلافة طلقة بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها وبهجتها والعيش غرض مكاسره
فان الحجاب الصعب حيث تمتعت بهيتها أبوابه ومفاخره

تفحص وتعليق

أسبوع الجاحظ

لمندوب الرسالة

بقية المنشور في العدد الماضي

اليوم الرابع

كتابا الحيوان، والبيان والتبيين هما أهم ما للجاحظ من الآثار التي وصلتنا، والتي انتفع بها الكتاب والأدباء، ولقد كان اليوم الرابع ميعاداً للقول في هذين الأثرين الكبيرين، وكان درس الحيوان منوطاً بالأستاذ كراوس، وكان الكلام في البيان والتبيين على الأستاذ مصطفى السقا.

وقد تكلم الأستاذ كراوس عن الحيوان كلاماً مستفيضاً فوضح غرضه وأهميته، واهتم كثيراً بتحقيق الصلة بينه وبين كتاب الحيوان لأرسطو فقال: إن أبا منصور البغدادي قد ذكر أن الجاحظ لم يعمل شيئاً إلا أن سلخ معاني كتاب الحيوان لأرسطو، ثم ضم إليه ما ذكره المدائني من حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان، ولكن البغدادي هذا كان يظعن على الجاحظ، وكان كثير التيل منه، فقوله قول خصم لا يصح أن قبله على علاته، ونحن وإن كنا نعتقد أن الجاحظ قد اتصل بالثقافة اليونانية ووقف على آراء أرسطو في الحيوان، إلا أننا نعتقد أنه ألف كتابه ليعارض كتاب أرسطو، وليقيم الدليل للشعوية على أن العرب أصحاب علم ومعرفة كسائر الأمم، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك إذ يقول في مقدمة الحيوان: «وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم، وتشابه فيه العرب والعجم، لأنه وإن كان عربياً أعرباً، وإسلامياً جماعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة، وجمع معرفة السماع وعلم التجربة، وأمرك بين علم الكتاب والسنة، وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة، ويشتهيه الفتيان كما تشتهيه الشيوخ، ويشتهيه الفانك كما يشتهيه الناسك، ويشتهيه اللاعب كما يشتهيه المجد، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الأريب».

ولذلك كان الجاحظ يهتم كثيراً بحشد أشعار العرب

وأقوالهم وحكمهم في الحيوان، كما كان يهتم بالسخر من أقوال صاحب المنطق والضحك منها، فالبغدادي قد غبن الجاحظ وتجننى عليه وتنقصه بغير حق.

وتكلم الأستاذ السقا من بعد ذلك عن البيان والتبيين فقدم بين يدي الموضوع كلاماً طويلاً يتصل بشخصه أكثر مما يتصل بأمر الكتاب، فذكر أيامه في دارالعلوم وهو طالب، وقال: إنه كان يكره البيان والتبيين ويستثقله وينفر منه، حتى حبيه إلى نفسه نصيحة أستاذ مخلص، فأقبل عليه وانتفع به في ثقافته الأدبية، وبلغ من إعجابه به أن كان يعاود قراءته، ثم عرض لموضوع الكتاب وذكر أبوابه وفصوله، وتكلم في أسلوبه وطريقته وأفرغ عليه كثيراً من الثناء والتعجيد، ومن العجب أنه ذكر تعريف الإنسان الذي نقله الجاحظ عن أرسطو فقال: إنه الحي الميت!! وقد سمعناه يعيده ثانية بهذا النص، وإنما هو الحي الميت على ما نعرف، ولكنه يطبق التعريف كما جاء محرفاً في الكتاب!!

اليوم الخامس

وكان القول فيه للأستاذين إبراهيم مصطفى وأحمد الشايب، وكان موضوع الكلام للأستاذ إبراهيم مصطفى عن «دعاية الجاحظ»، وقد التبتت الدعاية بالدعاية على السامعين، فانتظروا من الأستاذ أن يفيض عليهم من فكاهات الجاحظ ونوادره ولكنهم دهشوا إذ رأوه لا يمس ذلك ولا يتقرب إليه، فجأوا باللوم العنيف على الأستاذ، وقالوا: إنه أهمل موضوعه وخرج عليه، وما كان مبعث هذا كله إلا تلك النقطة، الخبيثة التي أهملتها يد الطابع، فأساء إلى الأستاذ وأساء إلى السامعين! وقد ابتدأ الأستاذ القول في دعاية الجاحظ بما كان بينه وبين أبي هفان إذ قيل لأبي هفان: لم لاتبهو الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بمخنتك! فقال: أمثلي يخذع عن عقله! والله لو وضع رسالة في أرثية أنني لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت في ألف سنة!

وعلق الأستاذ على هذه النادرة فقال: ونحن إذا تأملنا هذه النادرة نجد أن أبا هفان الشاعر قد تراجع أمام الجاحظ النائر، أو بالأحرى نجد الشعر قد انهزم أمام النثر، ذلك لأن

لم يتزوج ولم يؤكد علاقته بالمرأة، ولكنه قد دافع عنها واكبر من شأنها، وله كتاب «الخرائر والآماء» كتبه في مناصرة الآماء والثناء عليهن وتفضيلهن على الخرائر^(١)

ثم تكلم عن أسلوب الجاحظ بما هو معروف، وقال إنه لم يؤثر في أحد من بعده تأثيراً فنياً، وإن ابن العميد الذي كان يتعصب للجاحظ، ويلقب في السنة الأدباء بالجاحظ الثاني لم يكن له من خصائص الجاحظ شيء، حتى القاضي الفاضل الذي يقول في كلام له: أما الجاحظ فما منا معاصر الكتاب إلا من دخل من كتبه الحار، وشن عليها الغار، وخرج على كتفه منها كاره، لا نعرفه قد تأثر بالجاحظ في قليل ولا كثير^(٢)، ثم أخذ يقارن بين الجاحظ وبين المبرد في طريقته وأسلوبه، ولم ينس ثعلباً في هذه المقارنة... و انتهى بعد ذلك إلى القول بأن الجاحظ كان داعية كبيراً، قد استطاع أن يتصل بالجمهور إلى حد بعيد، وأن يؤدي لنفسه وللمعتزلة من هذه الناحية شيئاً كثيراً، فكان مثله في ذلك مثل الصحنى الماهر في أيامنا الحاضرة^(٣)

وقام من بعد ذلك الأستاذ أحمد الشايب للكلام في مآخذ الجاحظ فابتدأ القول بكلام الناس في ثقافة الجاحظ واتساعها وثنائهم عليه من هذه الناحية، وقال إن الجاحظ كان واسع المعارف حقاً، قد اتصل بكل النواحي الفكرية والعقلية في أيامه، ولكن ثقافته كانت ثقافة عامة أو قل ثقافة صحفية يتلقفها من دكاكين الوراقين، وقد كان ذلك مذموراً في عصره حتى كانوا يقولون: هو صحنى إذا أرادوا الذم، ونحن نرى أن الجاحظ وإن كان قد ألم بكل شيء ولكنه لم يتبحر في شيء، ثقافته أخذ من كل شيء بطرف كما يقولون

قال الأستاذ: ولقد أخذت أنظر الجاحظ في كل ناحية من نواحي ثقافته فما وجدته إلا على ما وصفت، ثم انتقص كلامه في الحيوان، وأورد في ذلك كلام الباحث الفرنسي كارادفو في كتابه «مفكر الإسلام»، وقد كان غاية ما حاوله

الجاحظ قد نصر النثر على الشعر، فاستخدمه في موضوعات لم تكن له من قبل، وراضه على سبل استعصت على الكتاب السابقين، ثم إن الجاحظ في نثره قد اهتم بالتقريب من الجمهور ما استطاع، فأخذ يطرق الأمور التي تشغل بالهم، ويكتب في المعاني والأغراض التي تحيط بهم في حياتهم الأدبية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، ولما قامت الفتنة بين المأمون والأمين واندفع الناس في تيار تلك الفتنة، كان ذلك مما مكن الصلة بين الجاحظ والجمهور، لأنه ابتداءً يؤلف لهم في هذا الذي انصرفت إليه عقولهم، فكتب كتاب الإمامة لهم، فوقع عندهم الموقع الحسن، وقد قرظه المأمون وأتى عليه، وإن تقريب المأمون في الواقع لأدق وصف لكتب الجاحظ وكتاباته.

على أن الجاحظ في تقريبه من الجمهور والعامة لم يكن إلا متبعاً لتعاليم المعتزلة الذين أخذوا يعملون لدفع الجمهور للعلم، وتقريب المعارف من نفوسهم بشتى الوسائل الممكنة، ونحن إذا تأملنا كثيراً من كتبه نجده قد اختار موضوعاتها بما يليق بالجمهور ويروج عندهم مثل كتاب البخل.

ولقد كان الجاحظ يدخل على نفوس العامة من ناحية أخرى هي ناحية الدعابة والتفكه، فإنه كان يحفل بذلك ويعتد به، ولست أذكر من فكاهات الجاحظ وأساليبه في ذلك ومبلغ قوته في التصوير، فإن من قرأ منكم شيئاً من كتب الجاحظ فقد أدرك ذلك وتحققه، ثم عرض الأستاذ لكتاب الترييح والتدوير فقال: إنه نمط من فكاهة الجاحظ، ولكنه ملأه بالأسئلة عن أشياء لا تصح، وفيها ما يدور في أذهان العامة والجمهور، ولم يعمل الجاحظ على أن يجيب عنها، وقد قال الجاحظ في آخره: فإن أردت أن تعرف الفاسد والصحيح من هذه الأسئلة فالزم نفسك باب دارى، وقراءة كتي^(١) وعرض للجاحظ في موقفه من المرأة فقال: إن الجاحظ

(١) كاتي بالأستاذ الفاضل لم يبين الغرض الذي كتب الجاحظ من أجله كتاب الترييح والتدوير وذلك فهو يؤاخذ بهذه الخرافات التي سردها، والجاحظ إنما قصد إلى ذلك لثبوتهم بصاحبه وهو قد أشار إلى ذلك في أول الكتاب وفي الحيوان، ثم إنه أورد البارة الأخيرة على أنها خطاب للقارىء والجاحظ إنما خاطب بها صاحبه.

(١) المعروف للجاحظ كتاب الجوارى وكتاب القيان

(٢) في الواقع أن الجاحظ قد أثر فيمن جد من بعده تأثيراً كبيراً بأسلوبه وطريقته وثقافته ولعلنا نستطيع أن نكشف هذه الناحية لقراء الرسالة في بحث شامل

(٣) سمعت الأستاذ ينطق المبرد بالفتح وإنما هو بالكسر حتى كان يقول برد الله من بردى

والأضداد^(١)، وكذلك كلامه عن الحسد وعبارات كثيرة يدركها كل من وقف على كتبه .

اليوم السادس

أما اليوم السادس وهو اليوم الأخير فقد اضطلع به الدكتور طه وحده ، وكان عليه أن يملأ فراغه فذروا القول على كثير من نواحي الجاحظ مع أن موقفه في القول كان عند فكاهة الجاحظ ، فتكلم أولاً عن إطراره الأدباء للجاحظ وما يجب أن يكون له من هذا الإطرار ؛ ثم تكلم عن دعاية الجاحظ بما تكلم به الأستاذ إبراهيم مصطفى من قبل ، فقال إن الجاحظ قد نصر النثر على الشعر ، وجعله أقرب وأعذب في نفوس الجمهور والعامة ، ولقد أشرت إلى ذلك فيما كتبت في مقدمة نقد النثر لقدماء ، وقد قلت إن الجاحظ أثر في ابن الرومي من هذه الناحية ، فهد له طريق التقصي في المعنى والإسهاب^(٢) ثم تكلم في فكاهة الجاحظ فقال : ولقد كانت الفكاهة من النواحي البارزة عند الجاحظ ، وما كان الرجل يقصد في فكاهته إلى الضحك والاضحاح فحسب ، ولكنه كان يقصد أيضاً إلى التصوير ، ويقصد إلى التهمك والسخر ، ويقصد إلى النقد والحجاء ، وأورد في الاحتجاج لذلك كلامه في نقد الخليل ابن أحمد . ثم ذكر بعض فكاهاته قد ذكر من ذلك قصته مع محمد بن أبي المؤمل البخيل^(٣) ، ثم انتدب الدكتور محمد عوض ليقرأ طرفاً من رسالة الجاحظ للمعتصم أو للتوكل بحضه على تعليم أولاده ضروب العلوم وأنواع الأدب ، وفيها كثير من ألوان الدعاية والشعر الفكاهة^(٤)

قال الدكتور : وعندى أن الجاحظ كان كفولتير ، فكما أن فولتير لم يكن عالماً فحسب ولا أدبياً فحسب ولا فيلسوفاً فحسب ولا اجتماعياً فحسب ، وإنما كان له في كل هذا وأكثر من هذا ، فكذلك نجد الجاحظ له في الأدب والفلسفة

(١) الذي نراه أن كتاب المحاسن والأضداد منسوب للجاحظ وما ننقد أن أحداً درس الجاحظ يستطيع أن يقول غير ذلك .

(٢) هذه في الواقع مبالغة لا تبطل بالحقيقة في شيء ، ولست أدري لماذا أثر الجاحظ في ابن الرومي دون غيره من الشعراء وفيهم من كان يشاره ويقاربه أكثر من ابن الرومي .

(٣) هي مذكورة في البغلاء ص ٧٦ وما بعدها .

(٤) نجد هذه الرسالة كاملة في جمع الجواهر للحصري ص ١٦٦ وما بعدها .

الأستاذ أن ينتقص جهد الجاحظ وآراه في الحيوان والنقد والبلاغة ، وفي كل ناحية من النواحي التي كتب فيها . وقال إنه كان ينتهب آراء غيره ، وكان يخلط بين النقد والبلاغة ، على أن هناك فرقاً بين الناحيتين ، ولقد كان الجاحظ في مؤلفاته يثير كثيراً من المشاكل ويمس الأمور المعضلة القائمة في عصره فيستطيع أن يشخصها ويكيفها ويلقي فيها الأسئلة القوية ، ولكنه كان يتركها عند هذا الحد ، فلا علاج يشفي ، ولا جواب ينتهي بالقارىء إلى رأى حاسم ، ولذلك كان من السهل على الجاحظ أن يؤلف في الشيء وضده وأن يناقض نفسه بنفسه ما دام هو يقف في ذلك عند الآراء الشائعة والمسائل الذائعة في كل فرقة . ولقد روى أن أحد الأمراء أرسل إلى الجاحظ يطلب منه أن يحتج له في رأى ، فكتب له الجاحظ بما طلب ، فعاد الأمير يقول له : إن الخادم قد غلط في تبليغ الرسالة إليك وإنما أريد أن تكتب في نقیض هذا الرأى ، فلم يتورع الجاحظ عن أن يكتب له .

قال الأستاذ : وقد كان الجاحظ من المتكلمين ، وكان الجدل والكلام في عصره على غاية ما يكون من الشدة ، ولكني لم أعرفه قد كتب كتاباً في أصول الجدل أو ألف في علم الكلام كما كانت تقتضيه وظيفته ويقتضيه عصره^(١) ، ثم انتقد الجاحظ في تحقيقه ، وأورد كلاماً للسعودي في ذلك إذ يقول : زعم الجاحظ أن نهر مكران الذي هو نهر السند من النيل . واستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه ، وهذا تحقيق باطل ناقص ، لأن الجاحظ أقامه على قياس منطقي نظري فاسد النتيجة ولو طارعتنا الجاحظ في قياسه لكان كل نهر فيه التماسيح هو من النيل ، لأن النيل فيه التماسيح وكان من رأى الأستاذ أن غاية ما للجاحظ هو الأسلوب ففيه براعته وشخصيته ومميزاته ... ثم انتقده بالتكرار الملل ، وقال إن الجاحظ كان يستعمل عبارات ثابتة يكررها كثيراً حتى كأنها كلشيات^(٢) ، فهو ينقلها من كتاب إلى كتاب ومن موضع إلى موضع ، ومثل لذلك بكلامه في اصطناع الكتب إذ أورده في كتابه الحيوان ، وأعاده في المحاسن

(١) ليس هذا على ما نرى مما يباب به الجاحظ ، لأن هناك فرقاً بين المتكلم والعالم بالكلام الذي من مهمته أن يؤلف في الكلام ، وهل لنا أن نجب المتنبى بأنه لم يكتب في الشعر وهو شاعر

(٢) هي المعروفة في العربية بالرواسم . . .

العاطفة^(١)

وهي نعمة من الشعر الوصفي الرائع المتكرر في أغراضه ومعانيه

للشاعر العالم الأستاذ أحمد الزين

خَلَجَاتٌ تهفو بقلب الشَّجِيءِ هي سرُّ الحياة في كلِّ شيءٍ
هي والروح في فؤادك صِنُوا نِ وفيض من عالم عُلُوِّ—
هي ذكرى بعد المشيب وسلوى في اكتهالٍ وصبوة للفتى
ومنى للغلام يهفو إليها وحنان يحوط مهد الصبي
رافقت رحلة الحياة وأخت نضو أسفارها إخاء الوفي
هي للقلب نعمة أو شقاء كم سعيد بها وكم من شقى
رُبَّ من يهر العيون رؤاء ناء من همها بداء خنى
ظاهر منه يخدع العين عمّا ضمن القلب من ضنى مطوى
من غرام مبرح أو فراق أو منى عوجلت بصوت النعى
باسم بين صحبه فإذا يخلو بكى شجوة بدمع شجي—
وأخي منظر تراه فتلبو العين عن منظر ريث زرى
يصر الناس منه ما يبعث الرحمة في قلب شاني وصغى
ما دروا أنه على البؤس يحيا بفؤادٍ خالٍ وبال رخى
ملأت نفسه السعادة حتى لا يسالى بمنظر أو يرى
نزعات النفوس في كل قلب ميّزت بين ساخط ورضى
أسعدت آدمًا وحواء حيناً سم أشقتما بإفك القوي
ورث النسل عن أبيه ميولا لم تدعه في ظل عيش هنى
ونفوسا حيرت قلبها الأهواء مفتونة بكل طلى
فهى بين الآمال تمرح نشوى ثم تصحو بالأس من كل شى—
إن للعاطفات حُكماً قويا ظلّه عاصف بكل قوى
كم أذلت جبار قوم، وغلت من طليق، وأسست من أبى
كم توتى جهادها في قديم الدهر نضج لعالم ونبي
جاهداها بالعقل حيناً وحيناً سخرًا بعضها لقتل البقى
وهي تقوى مع الجهاد فويل للورى من جهادها الأبدى

(١) تشمل المواطن في معنى ميول النفس وتزاتها استعمالاً شائعاً في كلام أهل العصر وهي المراد وصفها في هذه القصيدة .

والاجتماع الى آخر ما هو معروف عنه ؛ وكما أن فولتير لم يكن في سخره وتهكمه يقف عند حد الفكاهة ولكنه كان يقصد الى كثير من الأغراض الشريفة ، فكذلك كان الجاحظ ، فالمشابهة قوية بين الرجلين^(١)

ثم قال : فالجاحظ لاشك من الشخصيات الكبيرة ، وأهل العبقريات النادرة ، وهو حري بالذكر والتكريم ، ونحن اذ نقوم له بهذا الأسبوع بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على وفاته ، فإنما نحن نؤدى له بعض الواجب ، ولا أكتفكم بإسادة اذا قلت لكم اننا في حاجة كبيرة الى دراسة الجاحظ في كتبه وآثاره دراسة وافية كما تجب الدراسة ، فأننا مع الأسف لا نعرف عنه الا ما هو شائع في المجالس وما يسقط اليها من نوادره . وكلية الآداب اذا كانت قد فكرت في اقامة هذا الأسبوع فإنها أرادت أن تلفت الأذهان للعناية بالجاحظ ، وأن تنبه على وجوب دراسة تلك العبقرية الواسعة الشاملة

هكذا قال الدكتور الفاضل ، ولست أدري اذا كانت كلية الآداب لا تعلم عن الجاحظ الا ما هو شائع في المجالس وما يسقط من النوادر ، واذا كانت لم تقصد الا لفت الأذهان ، فن الذى يكون عنده العلم بالجاحظ ، ومن الذى سيؤدى عنها هذا الحق للنقد والآداب م . ف . ع

(١) لعل أستاذنا الزيات هو أول من نبه على انشبه بين الجاحظ وفولتير وإنه يقول في كتابه : إن الجاحظ هو فولتير الشرق .

لطلب الباطل لوريا :

البيان التبييقي

للاستاذين محمد برانق وحسن علوان

يشتمل هذا الكتاب على ذكر القواعد موجزة مع تطبيقات وافية في « البيان والبديع » وتمرنات طامة مرتبة على حسب هذا المنهج وفي اخره مفتاح عن الاسئلة مع ترجمان لمعظم الأعلام التي وردت فيه

الثنى
مطبوعة المعارف ومكتبتها بمصر

يوم عابس

في الريح الباسم
للأستاذ محمود غنيم

تنطلق انطلاق سهم مارق
ينضح بالمياه جانبها
فطرزت إذ ذاك من ثيابي
قلقت : ويل للفقير العافي
قال رفيق : دنت الدروس
قلقت : مهلا أيها الرفيق
قال : « أجيبا، تبتغي وسينا، »
قلت : قوانين البلاد جائرة
لا تذكر القانون في الأرياف
حيث الشوارع التي لا تنضح
وهكذا نشرب نحن المطرا
وكل ما في الريف من محامد
(كرم حاده)

سابعة في خفة الزوارق
على ثياب ليس لي سواها
ما أخطاته ريشة السحاب
من الغنى المترف المتلاف
وبعد خمس يضرب الناقوس
ما يفعل المدرس الغريق ؟
أسرع فلست تجهل القانونا
إن هي ساوتنا باهل القاهرة
قد وضع القانون في الجفاف
ولا بمك الماء فيها تنضح
وساكن المدن به ما شعرا
يذهب في أمطار يوم واحد
محمود غنيم

يا صباح أغبر الأديم
أمطاره قد شوهت آذانه
قد يظفر الباحث بالعنقاء
قلقت : هل ضل صباح اليوم
ويحك يا أيها الشمس اطلعي
وقفت حيران على الطريق
الأرض تحتاج إلى عوام
من رام أن يسعي يمينا يسرا
لكنني شحذت غرب عزمي
فلست بالنكس ولا الجبان
مشيت كالنشوان كل همي
أسأل في الطريق كل سائل
دمع السماء فوق رأسي هام
والماء قد ران على منظاري
وبعد أن كنت على غياري
فرطت فيه غاية التفريط
وعثرة اللسان في المقال
وبينما نحن نجوز حارة

دافبات إلى الغواية أحيا
كم يواسي بها الفقير وتنجي
كم سقيم لولا ترفق آس
ومشوق لولا التعلل أودى
وجمال لولا العواطف ساوى
فيها قُدر الجلال ولولا
يا نفس تعيش بين ميول

محمد الزين

الى كل كاتب عربي في مصر وفي غير مصر :

المباريات القصصية لمجلة (الرواية)

تشجيعاً للقصص العربي تفتح (الرواية) مبارياتها
السوية فيه بهذه المباراة :

مباراة في الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنيها مصريا

يوزعها المحكمون على الفائزين الأول والثاني

الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شرقية الموضوع
 - ٢ - بليغة الأسلوب
 - ٣ - نيلة الغرض
 - ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من مجلة (الرواية)
 - ٥ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى إدارة (الرواية) عن آخر مايو سنة ١٩٣٧
- لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الفضيلة الواهبة

- ١ -

وبعد أن ودع زارا مدينة (البقرة الملوثة) التي شغل قلبه بها، شيعه عدد غفير من كانوا يدعون أنفسهم أتباعه حتى بلغوا إلى منعطف الطريق، فقال زارا إنه يريد متابعة سيره وحده. فودّعه أتباعه وقدموا إليه عصا قبضتها من ذهب بشكل أفعى ملتفة حول الشمس، فسر زارا من هذه الهدية واتكأ عليها قائلاً لأتباعه:

— قولوا لي، لماذا أصبح الذهب ذا قيمة؟ أليس لأنه نادر ولا فائدة منه، ولأنه وديع في لمعانه، ويذل نفسه في كل حين؟ لم يبلغ الذهب أسمى مراتب الأشياء القيمة إلا لأنه رمز لأسمى الفضائل، فعين الواهب برّاقة كالذهب، ووهج الذهب رسول سلام بين النيرين.

إن أسمى الفضائل نادرة ولا نفع منها، فهي توهج بنورها الهادي، وليس بين الفضائل من يطاول فضيلة السخاء.

والحق، أتى شاعر برغبتكم، أيها الصحاب، فانكم تطمحون مثل طموحي إلى الفضيلة الواهبة، فأتم تريدون أن تحولوا نفوسكم إلى هبات وعطايا، وإلا لكتّم أشبه بالحررة والذئاب. ولهذا تتعطشون إلى حشد جميع الكنوز في أنفسكم فهي لن ترتقي من جمع الجواهر والكنوز لأنها ظامنة أبدأ إلى العطاء. تحتذبون كل ماحولكم ليتسرب إلى داخلكم فينفجر ينبوعكم بها كأنها هبة من محبتكم.

إن الحجة السخية الواهبة تستحيل إلى لص يمد يده إلى جمع الأشياء القيمة، وما أرى هذه الأناية إلا عملاً صالحاً مقدساً.

غير أن هنالك أناية أخرى تدهورت إلى أدنى درجات

المسكنة في مجاعتها المتحكمة أبداً فيها، تلك هي الأناية التي تطمح إلى السرقة في كل آن، فهي أناية المرض بل هي الأناية المريضة، تحدج كل شيء بنظرات اللص وبهم الجائع، فترن لقبات الآكلين من أبناء النعمة وتدب أبدأ حول موائد الواهبين. وما مثل هذه الشهوة إلا عرض الداء الدفين ودليل الانحطاط الخفي، وما الطموح إلى السرقة بمثل هذه الأناية إلا نزعة من نزعات الجسوم العليقة

أي شيء نراه أقبح الأشياء، أيها الأخوة، أفليس الانحطاط أقبحها؟ وهل يسعكم إلا أن تحكموا بانحطاط مجتمع لا أثر لروح السخاء والعطاء فيه.

إن سيلنا يتجه إلى الأعلى، وما نقصده إنما هو الارتقاء من نوع إلى نوع، لذلك نرتعش عند ما نسمع الانحطاط يهتف قائلاً: (لي كل شيء).

وهل روحنا إلا رمز لجسدنا وهي تطمح إلى الاعتلاء، وهل الصفات التي ندعوها فضيلة إلا عبارة عن هذه الرموز عيناها؟

إن الجسد يقطع مسافات التاريخ بكفاحه، ولكن ما تكون الروح من الجسد يا ترى إن لم تكن المزيغ لكفاح الجسد واتصاراته؟ وما الجسد إلا الصوت، وما الروح إلا الصدى الناجم عنه والتابع له. ليست الكلمات الموضوعة للدلالة على الخير والشر سوى رموز فهي تشير إلى الأمور ولا تعبر عنها ولا يطلب المعرفة فيها ومنها إلا المجانين

انتهوا، أيها الأخوة، إلى الزمن الذي يطمح فكركم فيه إلى البيان بالرموز لأن في هذا الحين تكون الفضيلة فيكم، وفيه يعث جسدم ويتجه إلى الأعلى يجتذباً عقلكم من سكونه ليدفع به إلى مراحل الإبداع حتى إذا ما سار عليها عرف قيمة الأشياء وأحب فاجاد في كل أعماله

في الزمن الذي يختلج فيه قلبكم تكون فضيلتكم لأن هذا القلب يفيض باختلاجه كالنهر العظيم فيغمر القائمين على ضفافه بالبركة كما يهددم بأشد الأخطار

إنما تنشأ فضيلتكم عند ما يعجز المدح والذم عن بلوغ شعورك، فتطمح إرادة الرجولة فيكم إلى السيادة على كل شيء.

إن الجسد يطهر بالمعرفة ، فيرتفع بمرائه على العلم ، لأن من يطلب الحكمة يطهر جميع غرائزه ، ومن ارتقى فقد أدخل المسرة الى نفسه

أعن نفسك ، أيها الطبيب ، لتتمكن من إعانة مريضك . إن خير ما تبذله من معونة لهذا المريض هو أن يرى بعينه أنك قادر على شفاء نفسك

إن في الأرض من السبل ما لم تطاها قدم بعد ، فما أكثر مجاهلها وما أكثر خفاياها !!

اسهروا واتبهوا أيها المنفردون لأن من المستقبل تهب نسائم سرية حاملة بشائر لا تفرح الا الأذان المرفعة

إنكم في عزلة عن العالم ، أيها المنفردون ، ولكنكم ستصبحون شعباً في آتي الزمان ، ومنكم سيقوم الشعب المختار لأنكم اخترتم أنفسكم اليوم . ومن هذا الشعب سيولد الانسان الكامل .

والحق أن الأرض ستصبح يوماً مستشنى للأعلاء ، فإن في نشرها عيباً جديداً هو عيب الاخلاص والامل الجديد .

- ٣ -

وسكت زارا كن يقف عند كلمة تتلجلج في فمه ، وبعد أن قلب عصاه طويلاً بين يديه ، أطلق صوته وقد تغيرت نبراته فقال :

- سأذهب وحدي الآن ، أيها الصحاب ، وأنتم أيضاً ستذهبون بعدى وحدكم لأنني هكذا أريد .

هذه نصيحتي إليكم ، ابتعدوا عني وقفوا موقف الدفاع عن أنفسكم تجاهي ، بل اذهبوا إلى أبعد من هذا ، انخلجوا من أتسايكم إلى قلقد أكون لكم خادعاً .

على من يطلب الحكمة ألا يتعلم حجة أعدائه فحسب بل عليه أيضاً أن يتعلم بغض أصدقائه . وما يعترف التليذ اعترافاً تاماً بفضل أستاذه إذا هو بقى أبداً له تليذاً . لماذا لا تريدون أن تحطموا تاجي ؟

إنكم تحوطونني بالاجلال ، ولكن ماهي الكارثة التي توقعونها من إغراضكم عني ، إن في رفع الأنصاب لخطراً فاحترسوا من أن يسقط عليكم التثال المنسوب فيقضى عليكم تقولون إنكم تؤمنون بزارا ، ولكن أية أهمية له ؟

إنما تنشأ فضيلتكم عند ما تحترقون النعم والفراش الوثير وعندما لا تجدون راحة الا بعيداً عن مواطن الراحة

إنما تنشأ فضيلتكم عند ما تنصب ارادتكم على مقصد واحد ، وعندما يصبح هذا التحول في آلامكم ضرورة لا يسعكم التحول عنها أفليس هذا شكلاً جديداً للخير والشر ؟ أفما تسمعون بهذا القول خريير الينبوع العميق الذي غربت مسالكه من قبل عنكم ؟ إنها لفضية جديدة تمنح الانسان قوة وتبعث فيه عزماً ، هذه الفكرة المتحركة فيروح بلفت الحكمة لأنها شمس مذهبة التفت عليها أفعى الحكمة

- ٢ -

وصمت زارا مرسلات نظرات الحب الى أتباعه ، ثم ارتفع صوته بنبرات جديدة قائلاً : - أخلصوا للأرض ، يا إخوتي ، بكل قوى فضيلتكم . لتكن محبتكم الواهبة ولتكن معرفتكم خادمتين لروح الأرض ، إني اطلب هذا متوسلاً

لا تدعوا فضيلتكم تنسلخ عن حقائق الأرض لتطير باجنحتها ضارية أسوار الأبدية ، ولكم ضلت من فضيلة من قبل على هذا السيل

أرجعوا الفضيلة الضالة كما رجعت بها أنا الى مرتبتها في الأرض . عودوا بها الى الجسد والى الحياة لتنفخ في الأرض روحها ، روحاً بشرية

لقد تاه العقل ونامت الفضيلة فهدعتهما آلاف الأمور ، ولما يزل هذا الجنون يتسلط على جسدنا حتى أصبح جزءاً منه فتحول فيه الى ارادة

لقد قام العقل وقامت الفضيلة معه بتجارب عديدة فضلا على ألف سيل ؛ وهكذا أصبح الانسان عبارة عن تجارب ومحاولات ألصقت بنا الجهل والضلال . وليس ما استقر فينا من التجارب حكمة الأجيال فحسب ، بل جنونها أيضاً . ولكم يتعرض الوارثون الى أخطار

إننا لم نزل نصارع جبار الصدق ، ولم يزل العتة سائداً على الإنسانية حتى اليوم

ليكن عقلكم وفضيلتكم بمثابة روح للأرض وعقل لها . أيها الأخوة ، فتجدد بكم قيم الأشياء جميعها ، من أجل هذا وجب عليكم أن تبدعوا

حديث الزهار

للكاتب الفرنسي ألفونس كار

السرو

- كنت ولداً لأول مرة جلست فيها تحت ظلك يا شجرة السرو حين كانت أسراب الحمام تفتح أجنحتها للريح فاتبعها من روحى بأطيار تشق الأثير متجهة نحو السماء .
وهأنذا أقدم اليوم بيطه تحت أغصانك لأطرح على الأرض جسدى المتعب وقد وقفت روحى عن تباع الأطيار فى اعتلائها . لقد صار الولد شيخاً .
لم نزل تظللنى أغصانك أيتها السروة ، وقد أصبح جذعك متكاً ليدى المرتجفة ، فأقف مستنداً إليه وأجبل أبصارى بين القبور حيث يرقد أجدادى وحيث أرقد أنا غدا .
- ما أجملك ، أيتها السروة ، وأنت متجهة إلى ما فوق كصلاة المؤمنين ، وحينما يمر الهواء بين أغصانك يخيل إلى المستغرق تحت ظلالك أنه يسمع ما تسر إليه قلوب أحبابه وقد استحالت إلى تراب فى القبور .
لقد مرت على صداقتنا السنون أيتها السروة الهرمة ، ومنذ أول عهدى بك لم أزل أتفياً غصونك لانا جيك مفكراً فى زوال الآبام . أنت أعرف منى بحالى ، فأنا أستشهدك على إيمانى بالخلود واحتقارى لكل مرتجف أمام الفناء .
أحبك أيتها الأغصان القائمة . أحبك يا زهرة المدافن لأنك رمز الراحة والسكون لمن أتعبته حركة الحياة إلى متى تنطلق روحى من أسرها فتجول فى الفضاء الفسيح الغير المتناهى كما تجول أسراب الحمام فى آفاقها ، فيرتفع مثلها فوق المآذن إلى السحاب إلى ما وراء كل منظور .
هناك السكون بالارتقاء إلى الأوج الأعلى ، حيث لا شقاء ولا خداع . تقدم يا ملاك الموت وأطرق الباب فان وراءه روحاً أهرمها الدهر وهى مستعدة للرحيل .
أيتها الهواء الهاب على أغصان السروة القائمة كأسرار الأبد ، كل يوم أنتظر منك مناجاتى بساعة موتى وأنت فى أنينك ساكت عنها لأنها فى علم الله . ف . ف

تقولون إنكم مؤمنون ، ولكن ما أهمية جميع المؤمنين ؟ ما كان أحد منكم قتش عن نفسه قبل أن وجدتمونى ، وهكذا جميع المؤمنين ، فليس الإيمان شيئاً عظيماً . لذلك آمركم الآن أن تضعوني لتجدوا أنفسكم ، ولن اعود إليكم إلا عندما تكونون جددتموني جميعكم .

والحق ، يا إخوتى ، أننى فى ذلك الحين ، ساقتش عن خرافى بعين أخرى فأبذل لكم حباً غير هذا الحب سياتى يوم تصيرون فيه أصحاباً لى إذا ما وُحد بينكم الأمل الواحد ، عندئذ سارغب فى الإقامة بينكم للمرة الثالثة للاحتفاء بانوار الهاجرة العظمى .

وستبلغ الشمس الهاجرة عند ما يصل الناس إلى منتصف طريقهم بين الحيوان والإنسان الكامل ، وعند ما يرون أملهم الأسمى على منتهى السيل الذى يقودهم إلى الفجر الجديد فى ذلك الحين يتوارى من يسير إلى الجهة الثانية وهو يبارك نفسه إذ ترتفع شمس معرفته لتسكب الهاجرة لقد مات جميع الآلهة ، فلم يعد لنا من أمل إلا ظهور الإنسان الكامل . فلتكن هذه إرادتنا الأخيرة عند ما تبلغ الشمس الهاجرة .
هكذا تكلم زارا . . .

ظهر الجزء الثانى من كتاب

المختار

من وضع الكاتب الشهير

عبد العزيز البشير

يشتمل على باين: الأول فى الفن والفنانين والثانى فى المداعب والفكاهات وهو محلى بالصور الشمسية لمشاهير الفنانين السابقين و بطائفة من الصور الكاريكاتورية الملونة رمزاً للموضوعات الفكاهية وبعض الطوائف التى حللها المؤلف فى هذا الكتاب

يطلب من مطبعة المعارف وكتبها بمصر

البريد الأدبي

الأزهر والجامعة المصرية في عيد جامعة أثينا

في هذا الأسبوع تحتفل جامعة أثينا بعيدها المئوي؛ فقد دعيت جامعتنا المصرية ودعيت الجامعة الأزهرية لشهود هذا الاحتفال العلمي، فلبنا الدعوة؛ وانتدبت الجامعة المصرية مديرها الأستاذ لطفى السيد باشا لتمثيلها، وانتدبت الجامعة الأزهرية أحد أساتذة التفتيش. وبما يلاحظ بهذه المناسبة أن الأزهر قد بدأ يتخذ مكانته في هذه المهرجانات العلمية الدولية بعد أن لبث دهرًا بعيدًا عنها، وهذه هي المرة الثالثة أو الرابعة التي يوفد فيها ممثليه إلى الخارج للاشتراك فيها. وقد نشأت جامعة أثينا منذ مائة عام (سنة ١٨٣٧) مع هذا متواضعا على سفح الأكروبول، وكان قيامها من نفثات الاستقلال الذي كسبته اليونان بنعمائها قبل ذلك بأعوام قلائل؛ بيد أنها قطعت خلال هذه المائة العام أشواطًا عظيمة، فأضحت جامعة كبرى تتمتع بهيبة علمية لا بأس بها.

وسيشهد عيد الجامعة الأثينية ممثلو نحو خمسمائة جامعة ومعهد، وسيفتح الاحتفال الرسمي ملك اليونان ويلقى خطاباً في هذه المناسبة وتمتدحفات العيد مدى أسبوع من ١٧ أبريل الجارى إلى ٢٢ منه؛ وقد وضع برنامج حافل يشتمل على خطب وأحاديث علمية مختلفة وعلى حفلات ومآدب اجتماعية، وزهات ورياضات خلوية مختلفة؛ وسيلقى ممثل الجامعة المصرية وممثل الأزهر - كل كلمته في هذا المهرجان.

ذكرى مكششف البلهارسيا:

تستعد الجمعية الطبية المصرية للاحتفال في الشهر القادم بذكرى العلامة الألماني تيودور بلهارس مناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على وفاته؛ وقد افترن اسم هذا العلامة إلى الأبد بأحد الأمراض المصرية المتوطنة وهو البلهارسيا، التي ما زالت تفتك بمئات ألوف من المصريين؛ وكان

بلهارس أستاذاً بمدرسة الطب المصرية، فعكف أعواماً على دراسة جراثيم الأمراض المتوطنة، ووفق بعد مباحث طويلة إلى اكتشاف ديدان مرض البلهارسيا وبعض الجراثيم والطفيليات المتوطنة الأخرى، وقد رأت الجمعية الطبية المصرية أن تقوم بواجب الوفاء لهذا العلامة الذي خدم الطب والعلم في مصر، فتكرم ذكره في حفلة جامعة تقيمها بكلية الطب في مساء يوم الأحد ٩ مايو القادم، وسيلقى بعض حضرات الأساتذة والأطباء المصريين كلمات في ذكرى العلامة الراحل، وفي حياته واكتشافاته الطبية، ومن المحقق أن دوائر العلم الألماني ستحتفي بهذه الذكرى أيما احتفاء، فاشترك الجمعية الطبية المصرية في هذا التكريم تصرف محمود وعنوان على التضامن العلمي الذي لا يعرف واجباً ولا حدوداً.

جوائز مدينة باريس الأدبية:

من أبناء فرنسا الأدبية أن مجلس باريس البلدي، قد قرر لإجابه لاقتراح مسيورنيه جيرون أحد أعضائه أن ينشئ جائزة أدبية قدرها خمسة وعشرون ألف فرنك (نحو ٢٣٠ جنيه) تسمى «جائزة مدينة باريس الكبرى»، وتتولى منحها هيئة محكمين من الكتاب وأعضاء المجلس البلدي؛ وتمنح عاماً بعد عام لكبير من الكتاب أو الشعراء أو المفكرين. فتمنح في العام الأول لكتاب «رواي»، مثلاً تحوز مؤلفاته قصب السبق؛ ثم تمنح في العام التالي «لشاعر»، وفي العام الثالث «لكتاب وصفي أو ناقد»، وفي العام الرابع «لمؤرخ أو فيلسوف»، وهكذا، ويمكن منح هذه الجائزة عن مؤلف بعينه أو عن جميع التأليف مجتمعة، كذلك قرر المجلس البلدي أن يرفع الإعانة المقررة «لجمعية الأدباء»، من عشرين إلى خمسين ألف فرنك في العام.

وهذه الجائزة الأدبية التي تقررها مدينة باريس ليست إلا واحدة من عشرات بل من مئات من الجوائز الأدبية

وفي أبريل سنة ١٩٠٩ ، وصل ييرى إلى القطب الشمالى وحقق بذلك أمنية حياته ؛ وكتب ييرى عدة كتب خلافة عن رحلاته ؛ ورفق إلى رتبة الأميرال فى سنة ١٩١١ ، وتوفى فى واشنطن سنة ١٩١٩

وقد استعرض مستر هوز فى كتابه الجديد حياة ييرى ورحلاته بأسلوب شائق ، واستخلصها من كتبه ومذكراته ومعلوماته الخاصة ، فجاء من أبدع الكتب التى صدرت عن الرحلات القطبية

قضية أوبية هرييه

رفعت إلى محكمة نيويورك العليا قضية أدية غريبة تشغل دوائر النشر والأدب تدور حول هذا السؤال « هل يحق للعالم الذى أضحت حياته العامة ملكا للتاريخ أن يتمسك بإخفاء بعض حقائق فى حياته لاعتبارات خاصة ؟ » وخلاصة القضية أن العلامة الباثولوجى الأشهر الدكتور كارلاندشتاين الذى يحمل جائزة نوبل للعلوم ، والذى يشغل مركزا هاما فى معهد روكفلر للباحث الطبية رفع قضية على شركة نشر قاموس الاعلام whos who يطلب فيها الحكم على الشركة بأن تمتنع عن نشر صورته وترجمته فى قسم « أعلام يهود أمريكا » فى طبعته الجديدة ، وأن تدفع له عشرين ألف جنيه تعويضا عما لحقه من الضرر المحقق فى حياته الخاصة وفى مهنته

وقد ولد الدكتور لاندشتاين فى النمسا من أبوين يهوديين ولكنه نبذ اليهودية واعتنق الكاثوليكية فى سنة ١٨٩٠ وتزوج من سيدة كاثوليكية ، ويقول محاميه انه ، أى الدكتور ، يعيش منذ خمسين عاما فى وسط مسيحى ، ويغضى عن علاقته الدينية القديمة ؛ وحق الخصوصية هنا قائم ويجب أن يحسم إن للدعى ولدا فى التاسعة عشرة من عمره لا يعرف شيئا عن أصل والده اليهودى ، فاذا وقف على هذه الحقيقة فى القاموس المشار إليه فانه يصطدم لذلك وقد يعرضه للذلة فى الوسط المسيحى الذى يعيش فيه

ويقول الناشرون إن قاموس الاعلام هذا عمل تاريخى جليل ، وإن كل ما يتعلق بحياة المدعى من الوقائع والحقائق إنما هو ملك للتاريخ وإن نشرها له عدوان فيه على حقوقه الخاصة وهكذا تجد المحكمة العليا نفسها أمام مأزق دقيق

المختلفة التى تقررها الهيئات الرسمية وغير الرسمية من جمعيات علمية وأدبية وصحف وغيرها لتشجيع العلوم والآداب ، ورعاية الحركة الفكرية وإذكاء همم الكتاب والأدباء والفنانين ، فاين جوائزنا نحن ؟ ومتى تفكر هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية فى ترتيب الجوائز الأدبية الموقرة التى يمكن أن تسبغ بيبتهما الأدبية على أدبائنا وكتابنا شرفاً يتسابقون إليه ، كما تسبغ بقيمتها المادية على جهودهم نوعاً من المؤازرة والتشجيع ؟

كتاب عن الرموز القطبية

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن المكتشف الأمريكى الشهير روبرت ييرى وعن رحلاته القطبية المختلفة عنوانه : « Peary » ، ومؤلفه المؤرخ الأمريكى هوبز W. H. Hobbs وقد اشتهر هوبز منذ بعيد بكتاباته عن القطب والرحلات القطبية ، فهو من هذه الوجهة أستاذ موضوعه ؛ وهو يسرد فى كتابه الجديد رحلات ييرى القطبية منذ رحلته الأولى إلى الجزيرة الخضراء فى سنة ١٨٨٦ ، وهى السنة التى اكتشف فيها رأس الثلج الشهير . وييرى من أشهر المكتشفين والرحل فى عصرنا ؛ وكان مولده فى ولاية بنسلفانيا سنة ١٨٥٦ ؛ والتحق بالبحرية الأمريكية سنة ١٨٨١ ؛ وفى سنة ١٨٨٦ ، رحل إلى الأرض الخضراء رحلته الأولى ؛ وفى سنة ١٨٩١ رحل إليها للمرة الثانية وقطع الجزيرة من جنوبها إلى شمالها على ظهر زاحفة ثلجية ، وأنفق فى رحلته ثلاثة عشر شهرا واستطاع أن يتحقق من أن الأرض الخضراء جزيرة تحدها الثلوج من الشمال كما تحدها من الجنوب . ثم قام برحلته الثالثة إلى الأرض الخضراء فى سنة ١٨٩٣ ومكث فى الجزيرة نحو أربعة أعوام ؛ وكان ييرى يستعين فى رحلاته برجال « الاسكيمو » واليه يرجع الفضل فى دراسة خواص هذا الجنس المدهش الذى يعيش بين الجليد الخالد . وفى سنة ١٨٩٨ قام ييرى برحلة جديدة على ظهر الباخرة القطبية « روزفلت » ، حول الجزيرة الخضراء من الشمال والشرق ، ولبث ييرى طول حياته يتطلع إلى القطب واكتشافه ؛ وفى سنة ١٩٠٥ قام بأعظم رحلاته فى اتجاه القطب الشمالى ، ووصل فى سنة ١٩٠٨ على ظهر السفينة القطبية روزفلت إلى رأس شريدان ، وهى أبعد نقطة وصل إليها إنسان ، وقضى الشتاء فى تلك الوهاد الثلجية ؛



اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضى بيير كرتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

لأستاذ كبير

المستر بيير كرتيس القاضى السابق بالمحاكم المختلطة مؤرخ محقق، كتب فى تاريخ مصر كتباً قيمة اعتمد فى إخراجها على مصادر ووثائق أكثرها لم ينشر بعد، رجع إليها فى دار المحفوظات المصرية بتصريح من جلالة الملك الراحل.

ويقول لنا الأستاذ صروف إنه يوشك أن يصدر فى تاريخ مصر كتاباً آخر. وليس القاضى كرتيس أول رجال الولايات المتحدة الذين كتبوا عن مصر، بل إن للكثيرين منهم على التاريخ المصرى فضلاً كبيراً. ويمتاز هؤلاء المؤرخون ببعدهم عن التأثير بالمصالح والعواطف السياسية، ولذلك تراءى ينظرون إلى الحقائق نظرة المحاييد المحقق الذى يبحث ويتحرى ولا يهيم به بعد ذلك أجاءت نتيجة البحث وفق ما يجب أم لم تجب؛ ومن أجل ذلك كانت كتبهم جديرة بأن تلقى من الكتاب المصريين المؤلفين منهم والمترجمين ما تستحقه من العناية.

ولكن يؤسفنا أن نرى هؤلاء المؤلفين والمترجمين لا يعتمدون إلا على مصادر من نوع واحد، ويففلون المصادر الأمريكية مع أنها من أهم المراجع وأصدقها، ومع أن أصحابها بحكم مراكزهم كانوا ملينين بالشئون المصرية وكان لبعضهم يد فى تصرفها

لذلك اغتبطنا حين أخرج الأستاذ صروف ترجمته لكتاب إسماعيل الخديو المفترى عليه، ونرجو أن نرى فى القريب ترجمة

لكتاب «إبراهيم، وأخرى لكتاب «فارمن، وثالثة «لما كون، ورابعة «لادون ده ليون، وغيرهم من الكتاب المنصفين. وهذا المقام الذى نضع فيه المؤرخين الأمريكين هو الذى حملنا على قراءة الترجمة العربية لكتاب كرتيس بعد أن قرأنا الأصل الانجليزى منذ عامين أو أكثر

ومن أجل هذا أيضاً رأينا من الواجب علينا أن نبدي رأينا فى الترجمة لأن موضع الكتاب جليل، يفتح فى التاريخ المصرى فتحة جديدة. ولأن المؤلف قاض نزيه وكاتب كبير، ولأن المترجم من الكتاب المعروفين، ولأن دار النشر الحديث قد بذلت فى إخراجها من العناية ما يجعلها جديرة بالثناء العظيم وقبل أن نبدأ بالنظر فى هذا الكتاب يحسن بنا أن نضع أمام القراء المبادئ الأساسية التى سنسترشد بها فى نقدنا، والتى نرى لزماً على كل مترجم أن يراعيها إذا شاء أن تكون ترجمته دقيقة أمينة سليمة

(١) فأول ما يجب على المترجم أن يكون ملماً بموضوع الكتاب الذى يترجمه، وإلا دفع فى الخطأ من حيث لا يدري؛ ذلك بأن لكل علم ولكل فرع من علم مصطلحاته الخاصة التى يجب أن يعرفها المؤلف والمترجم. ويصدق هذا على التاريخ كما يصدق على العلوم الطبيعية والرياضية. ففى التاريخ معان وضعت لها مصطلحات اتفق عليها، وأصبح المؤلفون والمترجمون فى غير حاجة إلى اختراع ألفاظ جديدة للتعبير عنها، بل أصبح من واجبه أن يتقيدوا بها إن وجدت، وإلا وقعوا فى القوضى والاضطراب. وقد توجد فى الكتاب المترجم أغلاط مطبعية وغير مطبعية، وأسماء الأشخاص وأما كرمحرة أو غير محرفة، ولا يستطيع المترجم أن يثبتها على حقيقتها إلا إذا كان عارفاً بها أو كان فى استطاعته الرجوع إلى المصادر التاريخية التى تمكنه من تحقيقها. وتعريب الأسماء من اللغة الانجليزية يحتاج إلى

كثير من العلم والدقة ، وإلا خرج الكتاب مشوها بعيدا عن التحقيق التاريخي قليل القيمة غير مطابق للأصل المترجم (٢) كذلك يجب أن تكون الترجمة كالأصل من غير زيادة ولا نقص ، ولستأ نرى بذلك إلى الترجمة الحرفية التي يتقيد صاحبها بالألفاظ فيحتم على نفسه أن يأتي لكل لفظ بما يقابله ولكل عبارة بمثلها مساوية لها في الطول وعدد الكلمات : ليس هذا هو المقصود بل المقصود أن يعبر المترجم عن جميع المعاني الواردة في الأصل المترجم بلغة سليمة وأسلوب صحيح ، والأمانة في الترجمة تحتم على المترجم أن لا يحذف من الأصل شيئا إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطرارا ، ويحمل به مع ذلك أن يذكر سبب هذا الحذف في هامش الكتاب أو في المقدمة إن شاء .

(٣) ويتفرع من هذا مبدأ ثالث عظيم الأهمية يتوقف عليه جمال الترجمة وسلاسة الأسلوب ، ذلك أن اللغة الانجليزية تكتب جملا منفصلة قليلة الروابط اللفظية مع أن الفقرة الطويلة تعبر في الغالب عن معنى واحد شامل مرتبط الاجزاء متسلسل الجمل . والفقرات كذلك مرتبط بعضها ببعض . لكن هذه الروابط روابط ملحوظة غير ملفوظة في كثير من الاحيان ، ويتوقف إدراك المعنى على فهم هذه الروابط بين الجمل والفقرات ، وتختلف اللغة العربية في ذلك عن اللغة الانجليزية ، فالعبرة العربية تحتاج إلى الروابط اللفظية بين الجمل ، ومثانة الأسلوب تستدعي حسن الانتقال من فقرة إلى فقرة ، وإلا كان هذا الأسلوب مفككا غير فصيح وبعيدا عن الذوق العربي ، وكل خطأ في فهم هذه الروابط والتعبير عنها يفسد الأسلوب ويغير المعنى . وربما كان ذلك أصعب شيء في الترجمة ، وهو الذي يجعل الكتب المترجمة ركيكة الأسلوب أجنبية في حقيقتها ، وإن كتبت بألفاظ عربية . والمترجم القدير هو الذي تقرأ كتابه فلا تشعر أنه مترجم ، بل تحس بأنك تقرأ كتابا عربيا فصيحاً

(٤) وثمة مسألة أخرى ترتبط بالمسألة السابقة وهي الأمثال والتشبيهات ونحوها ، وهل تترجم بلفظها أو بمعناها . ونحن نرى أن يترجم معناها ، واللغة العربية غنية بالأمثال والحكم

والتشبيهات ، ولا يعجز الأديب المطلع عن العثور لكل تشبيه أو مثل انجليزي على ما يقابله في اللغة العربية ، فإذا لم يجده فلا ضير عليه أن يترجمه بشرط ألا تكون الترجمة عسرة الفهم ولا بعيدة عن الذوق العربي السليم (٥) وكثيراً ما يقصد المؤلف أن يؤكد بعض المعاني تأكيذاً خاصاً لأهميتها في نظره ، وكثيراً ما يسبق على بعض المعاني ثوباً روائياً أو شعرياً يقتضيه غرضه ، وواجب المترجم القدير في مثل هذه الاحوال ألا يغفل عن ذلك في الترجمة ليكون أميناً على معاني المؤلف وروحه معا تلك أهم المبادئ التي سنبنى عليها نقدنا لترجمة الأستاذ فؤاد صروف وبقدر انطباقها على الترجمة يكون حكمنا عليها وموعداً بذلك العدد القادم إن شاء الله

الغني

مع محمد التناسليات

مع محمد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس لغير شغل قراء القاهرة بمهارة رفيعة رقم ٤٦ شارع المدايق تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والاورام والشرذات التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب والتخوفاً المبكرة ويعالج بصفة خاصة سرعة الخذف طبياً لا صدمات الطريق العلمية والعبارة من ١-١٠ رمه ٤-٦ .. ملاحظة : يمكن اعطاء نصائح بالمراسلة للمرضى من بعيداً عن القاهرة بعد ان يجيبوا على بمرسلة الأسئلة البكرلية المجانية على ١٤١ سؤالا التي يمكن ارسالها عليه نظير ٥ فرنس

مرض البول السكري

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المرضى

مرضت بالبول السكري والتجأت إلى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقني الله تعالى إلى بعض أنواع بذر البنات لم أجدها إلا بمجلة عطرة محمد طاهر الصاوي بوكالة أبو زبيد بدمياط بمصر تليفون ٥٢٥٢٠ ولم تكلفني ثمن سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . واستعملها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضت بها ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعي بعد أن

كان نسبة ٥٥ في الألف .
لله الحمد أخذت على نفسي عهداً أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن العمل المذكور لا يتأخر عن إرسالها لكل مريض فدية للانسانه مني فسر إليه قيمة الثمن المذكور
أحمد كثر .

في الكتب

المطالعة التاريخية للمدارس الابتدائية

للاستاذة : محمد رفعت بك وزكي على ومحمد مصطفى زيادة

وأحمد نجيب هاشم والسيد أحمد خليل

للاستاذ أحمد الشايب

هذه أول مرة في تاريخ الحياة المدرسية المصرية يعرض فيها التاريخ على التلاميذ عرضاً علمياً فنياً جميلاً ، يحاول به الأستاذ أن يصلوا بين الأطفال وبين العصور الأولى أقوى صلة وأجملها ، وأنفعها ، وأحبها إلى هذه النفوس الغضة الحديثة العهد بالحياة . وما ظنك بدرس في التاريخ - أو كتاب في التاريخ - يشارك الطفل في بناء الماضي درساً ، وقصصاً ، وعبلاً ، ومتعة ، فيستمتع به الناشئ . إلى أحاديث الملوك السابقين ، ويرى آثارهم مصورة ، ويدخل إلى منازلهم ، ويلعب مع أطفالهم ، ويصنع مثل لعبهم ، وينقل بين الزراع ، والصناع ، والتجار ، في المزارع ، والمصانع ، والمتاجر ، لا مشاهداً ومتحدثاً فقط ، بل مشاركاً ، مفيداً من الماضي خير الفضائل وأنبى الصفات . ذلك ، وأكثر منه ، وخير منه ، هو ما قام به هؤلاء الأساتذة الأفاضل مؤلفو كتاب المطالعة التاريخية للمدارس الابتدائية . وقد قرأت جزءه الأول الذي وضع في حياة المصريين القدماء ، فإذا به يصور الخطوة القديمة لحياة مصر والمصريين ، ولكنها مع ذلك خطوة واضحة ، بنية ، استطاع واصفوها محتالين متلفين أن يمزجوها بخطا الطفولة ومواهبها حتى لقد خشيت أن يستحيل أطفالنا ، بهذا الأسلوب الفنى الجميل ، أبناء فراعنة ، وأطفالاً تاريخيين .

لترك الباحثين يختلفون حول التاريخ ، أعلم هو أم فن ، ولتقف عند طور الطفولة وما يلائمه موضوعاً وشكلاً ، فلن نرى - فيما نعرف - خيراً من هذا الكتيب ولا أصلح منه لآبناء المدرسة الابتدائية ، سواء في ذلك اختيار المعلومات ، وتنوعها ، وشمولها ، وطريقة عرضها ، وسهولة أسلوبها ، وما أعقبها من التمارين العملية . . . وأما الرسوم والأشكال فهي وحدها مدرسة في إيضاحها وفي جمالها الذي يفن الأطفال ، ويهر الأرباب .

عرف المؤلفون ، أو المبرون ، طبيعة الطفولة فكان تاريخهم قصصاً ، سهلاً ، مشوقاً ، متصلاً بحياة التلاميذ وما بالفن ، وعرفوا

غرائز البنين وشغفها بالعمل ، فحولوا الدرس من هذا الشكل النظري إلى تمارين عملية تسد هذه الحاجة الغريزية ، ولم يقفوا عند هذا المراتب التقليدي حتى عمدوا إلى قوة الخيال ، فاعتمدوا عليها لتجسيم الصور الوصفية ، وكلموا التلاميذ من ذلك قسطاً حسناً ينزع بهم إلى هذه العادات العملية المحفزة ، ولحظوا فتنة الأولاد باللعب الصغيرة ، والمناظر البهيجة ، فبنسروا لهم الحصول على العرائس والكرات ، وزخرفوا صفحات الكتاب بأجمل ما تركت الفراعنة من صور وأشكال .

وبعد هذا ينتقلون بالطفل بين جوانب الحياة القديمة ، آباء عاطفين وأصدقاء مخلصين ، فهم به اليوم في النوادي الرياضية يرونه المصارعة . وحمل الأثقال والترامى بالكرات ، وغداً يأخذون يده إلى المدرسة فيشهد زملاءه لاعبين كاثين حاسبين ، وبعد غد يعرضون عليه الجيش المصري بأسلحته وعرباته وسفنه يفتح في الأقطار ، ويكون الأباطورية القديمة . ثم يدخلون معه منزلاً لا حدى الأسرار اقية ليشهد مثل النظام ، والطاعة ، والآلفة ، وحسن الآداب . وقد يحملونه على سفن الملكة حتشبسوت إلى بلاد الصومال بأفريقية ليعود بالاشجار العطرية ، والحيوانات العجيبة . . . وهكذا لا يتركون ناحية من هذه البنية الفرعونية حتى يفرقوه فيها سامعاً ، مبصراً ، عاملاً ، خائلاً كأنه يشترك في تمثيل رواية أو حفلة ألعاب .

ليس في الكتاب هذه العبارات الجوفاء ، والمبالغات الممقوتة التي يلجأ إليها كتاب التاريخ للأطفال حين تعوزهم المادة الممدودة ، وبراعة الأسلوب . ولقد سررت حين رأيت (خوفو) يتنزه فرصة فراخ المصريين من الأعمال الزراعية أيام فيض النيل فيملا فراغهم وجوبهم ببناء الهرم الأكبر ، كما سررت بهذه الناحية التهذيبية التي تصل بالآبناء إلى غاية الدرس التاريخي ، وتحملهم على التعلق بأسباب الجيد والفضيلة ، فهذا الملك أحبه الرعية لأخلاصه في خدمتها ، والاسكندر المقدوني بكرت إليه أمارات النجابة ، فكان ملكاً كبيراً ، وهؤلاء الرسل أدوا رسالة الإنسانية وصبروا في سبيلها فكانوا البررة الكرام ، وهذه مصر المحبوبة العزيزة أصبحت بفضل هذا الماضي المجيد محج السامعين والباحثين من كل الأقطار .

أما بعد ، فلو كان لى طفل أو تلميذ في مدرسة ابتدائية ، لما تركته ليلة دون أن أتمدرس معه في هذا الكتاب ، وأفيض على نفسه منه معرفة ، وتسليه وتهذيباً . . . ولعل التلاميذ قد ظفروا من هذا الكتاب بحياة مدرسية حديثة حقاً ، تجمع بين العلم والفن الجميل .

أحمد الشايب

REVUE ALKATEB

الكاتب

نظير صباغ

الاثنين

اقرأ العدد الأول
ثم حاول ألا تقرأ الثاني

١٩ أبريل

برنامج مصرى كامل من أحدث منتجات استوديو مصر

أول فيلم مصرى يصور الحياة
المصرية الراقية على حقيقتها

الحل الأخير

فيلم إسلامى رسمى صور بأمر خاص
من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود

فريضة الحج

المثل الأعلى لشعر رامى وتلحين السنباطى

حلم الشباب

جريدة مصر الناطقة — ابتكار جديد فى تسجيل الحوادث

ابتداء من ١٩ أبريل بسينما رويال كل يوم أربع حفلات

٢٢ أبريل بسينما الكوزمجراف الأمريكانى باسكندرية كل يوم ثلاث حفلات